الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات

قســـم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: م أ ع/2014/194: N°

تمظهر الصراع الذكوري والأنثوي في ابداع واسيني الأعرج

-سيدة المقام أنموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي فرع: أدب عربي تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبة:

✍ وردة زروخي

إشراف الأستاذ:

✍ بلقاسم جياب

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة:

- د. لخضر ديلمي رئيسا
- د. محمد سعدون مناقشا
- د. بلقاسم جياب مشرفا

السنة الجامعية: 2017/2016 م

بسم الله الرحمان الرحيم

باسم الله الرحمان الرحيم

قال الله تعالى:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق

منها زوجا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي

تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾

سورة النساء الآية 01

مـــــقدمـــــة

مقدمة:

الحمد الله رب العالمين

أصبح موضوع الأدب الأنثوي مؤخرًا بوابة واسعة، في مجال الدراسات الأدبية والنقدية ضمن إشكالية المذكر والمؤنث

ومن يلج هذه البوابة يجد أن البحث في هذه الإشكالية ضرورة من ضـــرورات البحث الأدبي

وقد شكل حضور المرأة من القديم ظاهرة في المجتمـــع الإنســـاني باعتبارهـــا الركيزة وسلطة البيت، التي لا تقوم إلا بها، ومن هنا تكمن أهمية المرأة، ووضعها في المجتمع وكذلك الرجل فهو رمز السلطة والقوة والصمود، والتحدي كمـــا أنـــه عمـــاد الأسرة وحاميها والحامل لجميع مسؤولياتها ومتطلباتها .

وبالتالي كان هو الآخر له أهمية بارزة ووضع قيادي فـــي المجتمـــع باعتبـــاره المسؤول في الأسرة الذي توكل له أصعب المهام وتطلب منه العديد من المطالب ولعل سلطوية الرجل داخل الأسرة، وإحتلالها المراتب الأولى في السلم الأسري جعلته يتبوأ نفس المرتبة في السلم الإجتماعي، ونظرا للتطور الثقافي، العامل نمـــا وعـــي المـــرأة وتبهت لهاته الخصوصية، وجعلت تفكر في وضعها الثانوي الذي لم يتزعزع وحـــاول أن تتنازع مع الرجل حول مكانته التي يحتلها وبالتالي تكسر تلك القواعد الرجعية التي رسمت، ملامح تلك القلعة الذكورية، وهذا ما عالجه الروائي واسيني الأعـــرج مـــن خلال أعماله الروائية التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر " رمل الماية " وقائع من أوجاع رجل غامر مرسوب البحر .

وقد توج الروائي " واسيني الأعرج" أعماله المعنونة ب " سيدة المقام " والتـــي ارتأيت أن تكون عنوان بحثي " تمظهر الصراع الذكوري والأنثوي في إبداع واســـيني الأعرج " سيدة المقام أنموذجا وحتى نلج عالم الرواية ونرصد الصراع نطرح السؤال الآتي:

كيف كان ينظر للمرأة ؟ وكيف سعت لتغيير هذه النظرة ؟ وما هي أهم القيم التي حملتها شخوص الرواية ؟

وقد دفعتني لدراسة هذه الرواية والكشف عن أغوارها أسباب متعددة :

الميل إلى تناول موضوعات تتعلق بالمرأة وصراعها مع الرجل.

- الميل إلى الكتابات الروائية الجزائرية خاصة الحديثة منها.
- تسليط الضوء على بؤرة الصراع بين الرجل والمرأة منذ الأزل إلى يومنا هذا .
- وضع المرأة (صورة المرأة) ومحاولة الإحاطة لمجمل تحولاتها وتموقعاتها.
- الرجل وعلاقته بالمرأة (المرأة مضطهدة والرجل مضطهد) باعتبارها ثنائية متلازمة بينهما تكاد تكون مشتركة .
- المرأة المثقفة باعتبارها تملك مؤهلات الذكاء والجمال بمستوياتها المختلفة .
- وأيضا لكون الرواية تشمل على عدة عناصر تمكننا من وضع أيدينا على نقاط الصراع وأبعاده في هذه الثنائية الذكورية الأنثوية.

فلقد اختلفت وجهات النظر حول قضية المرأة من عصر إلى آخر، فكان الوضع المأساوي للمرأة بمثابة هاجس لكتاب ومفكرين العرب، الذين نبهوا إلى خطورة الأفكار الرجعية البدائية المجحفة في حقها، فدافعوا عنها وطالبوا بتحريرها من ومن بين هؤلاء " سلامة موسى " وجبران خليل جبران وقاسم أمين وغيرهم، أما الأدب الروائي الجزائري فقد كان تناوله لقضية المرأة جديدا وخارجا عن المألوف، حيث وتحدثوا عن المرأة التي غادرت البيت ووقفت جنبا إلى جنب مع الرجل مثل "عبد المالك مرتاض" في روايته "نار ونور" وكذالك نور الدين بوجدرة في روايته "الحريق" وترجع أهمية البحث في الموضوع إلى معرفة مواطن الصراع بين الرجل والمرأة، كذلك التعرف على مكانة المرأة في المجتمع باعتبارها تملك مؤهلات الذكاء والجمال ولمقاربة صورة الصراع في الرواية وكشفه اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي وتجدر الإشارة إلى أني قد استعنت بمجموعة من المصادر والمراجع، نذكر على سبيل المثال : واسيني

الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر السعداوي نوال : الرجل والجنس، خديجة الصبار : المرأة بين الميتولوجيا والحداثة .

وقد صادفت خلال إنجاز هذا البحث بعض الصعوبات والعراقيل التي ارتبطت، في مقدمتها بقلة المراجع الحديثة وندرتها، عدم وفرة الكتب التي تناولت دراسة سيدة المقام بالإضافة إلى ضيق الوقت.

ولحقيق النتائج الموجودة في البحث اعتمدت الخطة الآتية، مدخل وثلاثة فصول وخاتمة .

المدخل: خصصته للحديث عن الرواية الجزائرية وتبلورها وعن خصوصية المرأة وحضورها في بعض الأعمال الروائية " تلخيص مضمون الرواية".

أما الفصل الأول فقد كان معنونا بتجليات الصراع على المستوى الجنس (ذكورة أنوثة) وقد خصصته للحديث عن تلك النظرة الدونية والسلفية لجسد المرأة، ومحاولة هاته الأخيرة تغييرها " سيدة المقام ".

والفصل الثاني: تمظهر الصراع على المستوى الإيديولوجي (ذكورة، أنوثة) وقمت في هذا الفصل بعرض إيديولوجية كل من الرجل والمرأة من خلال الرواية، وحاولت كشف مواطن الصراع .

الفصل الثالث: ويحمل عنوان الصراع " الصراع القيمي (ذكورة، أنوثة) كشفت فيه بعض القيم التي حملتها شخوص الرواية.

وفي الأخير خاتمة تمثل حوصلة لما قمت به.

ولا يسعني إلا أن أتوجه بأسمى معاني الشكر والتقدير إلى الأستاذ بلقاسم جياب الذي إحتضن بحثي وعمل على توجيهي إلى منهجية صحيحة وبناءة .

وما توفيقي إلا بالله

مدخل تمهيدي

توطئة حول:
تبلور الرواية لجزائرية

1- الرواية في سيدة المقام

إن الرواية الجزائرية لم تعد تحظى بدارسة تأصلية وهذا ما دفع إلى الاعتقاد بأن الرواية الجزائرية ذات التعبير العربي تمارس غيابا كبيرا على صعيد الساحة الأدبية اضافة إلى ذلك الرغبة الملحة في ايصال ادب الجزائر وأدب المغربي بشكل عام إلى المشرق الذي ما زال يميل إلى الاعتقاد بأن "الرواية الجزائرية" هي فقط ما ترجم "لمحمد ديب" أو "كاتب ياسين" أو "مولود فرعون" (وفي أغلب الحالات يعرف الطاهر وطار لأن ظروفه سمحت له بالخروج من دائرة محيطه أو بلدته الضيقة، وهناك أدب جديد ينمو في المشرق لديه خصائص متنوعة كما قال واسيني مرة أخرى لا نمتلك إلا أن نقول ليدرك جيدا اخواننا في المشرق أن هناك أدبا فنيا ينمو في الجزائر، يحمل خصائص متنوعة هي اضافة جديدة لرصيدنا الأدبي في الوطن العربي) [1].

وكأنه محاولة تتناول موضوعا لم يدرس سابقا فقد واجهتنا صعوبات كبيرة وجوهرية ربما كانت، كون الرواية فنا جديدا من فنون الرواية العربية، فحتى الان لم توجد دراسة منهجية واحدة تتناول الرواية العربية وحتى رؤية تربط الرواية بالواقع الذي أنتجها.

وحتى دراسات "جورج لوكاستن" النظرية على وجودتها كثيرا ما يجد المرء الصعوبة الكبيرة في الربط بينها وبين جوهر الرواية العربية المتذلق والتي شكلها واقع مختلف قياسيا إلى الانجازات الروائية على الصعيد الإنساني وهذه الدراسة لا تدعى التأسيس لمنهجية روائية عربية، فهي اسهام جد بسيط.

إن قلة الدراسة القيمة التي تناول الأدب باللغة الجزائرية أو انعدامها بشكل نهائي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وهذه صعوبة كبيرة تدفع بالمرء في أحيان كثيرة إلى السقوط في أخطاء كثيرة وعلى رأسها الأحكام الجاهزة وصعوبة تحديد

---

[1] -ينظر واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الاصول التاريخية والجمالية في الرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين ، 1986، ص98.

اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ناتج عن كون هذه الاشكالية لم تتناول سابقا لا من قريب ولا من بعيد حتى يتمكن المرء من الاستفادة منها وهذه الاتجاهات هي ثمرة الواقع المتخلف المتلاحق مع آخر الانجازات الحضارية الانسانية.

من هنا نجدها داخل الرواية الواحدة، مختلطة وغير مستقرة على عكس الادب العربي مثلا الذي اتبع واقعه مثل هذه الاتجاهات الفنية والفكرية، كالانعكاسات للقاعدة المادية البرجوازية، من هنا كان اعتمادنا على الخط الجوهري الذي يتحكم في سيرورة الرواية ككل[1].

وفي الوقت الذي كان فيه العالم يحتفل بانحدار النازية، لم تكن لتمر دون ان تخلف وراءها واقعا جديدا، أنزل الأدباء من أبراجهم العاجية إلى أرضية الواقع القاسي فتحركت الأقلام باحثة عن الاشكال القادر على الايصال الجماهيري، فكان ذلك إيذانا بظهور تيار يحمل في داخله قوة انتفاعية وإمكانات تعبيرية كبيرة وعظيمة وأكثر تأثيرا وإقناعا للقارئ الذي كان بدوره يعيش شراسة الواقع اليومي.

تجلى هذا الاتجاه في الكتابات الشعرية والقصصية، وقد ساعد الظرف التاريخي الفن القصصي على الاكتمال ليصبح فنا مستقلا بذاته، وظهرت الرواية كفن جديد على الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية مع الأديب "أحمد رضا حوحو" الذي لم تمنعه ظروفه الخاصة وطبيعة ثقافته التقليدية على تطوير هذا الفن والسير إلى الأمام.

ومع بداية الثورة وقبله بقليل بدأ هذا التيار يأخذ منحنيات تاريخية جديدة ويتفرع إلى اتجاهات أكثر تقسما متجاوزا المرحلة الانتقادية على التبشير بالاستقلال بمجمع العدالة والاشتراكية، وقد ظهر ذلك واضحا عند كتاب الفرنسية من أمثال "محمد ديب" الذي استطاع في ثلاثيته (الخريف، الدار الكبيرة، النول) أن يتجاوز واقعيته الانتقادية إلى واقعية أكثر اشراقا وأكثر تجاوزا وتفتحا على المستقبل[2].

---

[1] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص9.

[2] - نفسه، ص 67.

فقد استفاد الكتاب الجزائريون المفرنسون من الواقع الثقافي لا الاستعماري واستطاعوا تسخيره لصالح شعبهم وأمتهم وقضيتهم، والأمر الذي أسهم بشكل واضح في تطوير ذات التعبير الفرنسي، وحتى "احمد رضا حوحو" الذي شهدت الرواية العربية في الجزائر ميلادها على يده كانت لغته الثانية فرنسية،وقد تأثر بالكتابات الفرنسية المتواجدة وقتها على المساحة الأدبية الجزائرية، وهذا ما دفعه للتمرد إلى حد ما على أطروحات جمعية العلماء المسلمين التي كانت تنظر في فن الرواية على أنه فن الدرجة العاشرة والشيء نفسه يمكن أن يقال عن "نور الدين بوجدرة" التي كانت ثقافته الثانية هو بذاته الفرنسي والذي قام بترجمة قسم كبير في رواية القضية "Haquestion" لهنرى علاق "Henry allegue".

وخلاصة القول ((أن الواقع الثقافي وتطوره كان خاضعا للواقع السياسي الذي كانت تعيش الجزائر، ومن ثمة فقد حمل الأدب الجزائري في داخله كل تناقضات الحركة الوطنية الأمر الذي شعب اتجاهاته الفكرية والإيديولوجية وأدواته التعبيرية، بحيث استغلت اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية كسلاح ووجهة كتاب مناضلون إلى صدر المستعمر، وهذه الحالة ربما انفردت بها الجزائر على غيرها من الدول العربية))[1].

وكانت البدايات الأولى للنهضة الثقافية وأسبابها الثورة الوطنية الكبرى أقرب جمعت في صفوفها كافة الفعاليات الوطنية على اختلاف اتجاهاتها، يمكن القول بأن ثمة عدة روافد مختلفة تفاوتت وتلاقت فيما بينها لتعطينا الصورة الثقافية في الجزائر، وطبعا فهذه المؤثرات المختلفة التي أدت إلى خلق جو ثقافي وفكري مغاير للمألوف، لا يمكن بأي حال من الاحوال فصلها عن الخلفية السياسية التي أسهمت في بلورتها، ويمكن تلخيص هذه المؤثرات في ما يلي:

[1] - واسيني الأعرج: المرجع السابق، ص 68.

- تنامي اليقظة الوطنية في العالم كله خلال الحربين العالميتين وظهور حركات التحرر الوطنية في العالم الثالث.

- انتصار الثورة الاشتراكية زمن الاتحاد السوفياتي وفي بلدان أخرى.

- تصاعد النهضة الوطنية والإصلاحية في العالم الإسلامي بقيادة الأفغاني.....، وهي النهضة التي مست الجزائريين المسلمين.

- طبيعة الاستعمار التاريخية وهي الاستغلال الرأسمالي واستنزاف طاقات الجماعات والأفراد والتمييز العنصري، الأمر الذي أنتج في النهاية رد فعل انسانيا قوميا عند الجزائريين.

- ومن الناحية الأدبية فزيادة على المؤثرات الغربية المباشرة يمكن القول أن هناك تماسكا فصل بين الوضع الثقافي في الجزائر وقرينه في المشرق العربي، وأخذ هذا التغيير أبعاده في مطلع الثلاثينيات، واكتمل وجهه بشكل جيد بعد انتفاضة 1945.

- زيادة على كل ما ذكرناه يمكن الاشارة إلى الصحافة الوطنية التي ساهمت وبشكل محدود في قيام حركة أدبية ذات لغة تعبيرية عربية بالرغم من الأخطاء التاريخية التي وقعت فيها ((هذه الصحافة التي كانت في معظمها اصلاحية محدودة الرؤية وهذا لا يعني أبدا التنكر لدورها التاريخي، للدور الريادي للقادة الاصلاحيين الذين ذاقوا الأمرين من المستعمر))[1].

إن الإرهاصات الاصلاحية، احتضنتها عوامل رافدة من الهجرة إلى المشرق أو النفي منه، فقد شد الرحال اليه في هذه الفترة رواد الاصلاح "صلاح الدين" في الجزائر الذي زادها بدورها في هذه الفترة دعاة الاصلاح الديني في المشرق، واستطاعت بعض الروافد المطبوعة أن تتسلل إلى داخل الجزائر، أما تلك الروافد التي انقطعت

[1] -واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 52.

السبل دونها فقد استطاعت أن تجد لها همزة وصل في جامع "الزيتونة" بتونس الـــذي يعد المدرسة الأولى لرجال الاصلاح في الجزائر[1].

ويقول في المضمار نفسه الأديب الهادي سويسي صاحب كتاب "شعر الجزائر في العصر الحاضر" ((من معشر الشباب الأدباء الجزائريين من لـــم يفـــتح عينـــه، منـــذ استعملت الحرب الكبرى، على أفراد الجيل الثاني أقول الثاني لأنهم يسقوا رحيقه الشيخ محمد عبده)) [2]، وهذا طبعا يدفعنا إلى ايراد بعض التفصيلات حول هذه المـــؤتمرات التي كانت لها أدوار فعالة.

فالزيارات المتكررة لبعض العلماء وبعض العروض الفنية، أسهمت بدورها فـــي تفعيل الأجزاء الثقافية الراكدة، وتحريك اللغة العربية التي وضعت عليها كل القيود، فقد زار الشيخ "محمد عبده" الجزائر مرتين الأولى عام 1844 والثانية عام 1903 أي قبل وفاته بسنتين، أما في أوربا فقد التقى "شكيب أرسلان" بالجزائريين المهاجرين وأثـــرت أفكاره القومية فيهم، وإن كانت الطبيعة جد محدودة، وأما على مستويات الفرق الفنية، فقد كانت هناك زيارات متعددة، ساهمت وبقدر ضئيل في دفع الحركـــة الأدبيـــة فـــي الجزائر إلى الأمام.

والى جانب كل هذه الزيارات يمكن الاشارة إلى النوادي الثقافيـــة التـــي كانـــت تشرف عليها "جمعية العلماء المسلمين" والتي أدت دورا كبيرا في دعم الحركة الأدبية في الجزائر والشعرية على وجه التحديد، لأن الفن القصصي (القصة والرواية)، ظـــل يتعامل معه على أساس أنه أدب من الدرجة الثانية أو الثالثة حتى فترة قريبة.

عندما نتساءل مرة أخرى لماذا غابت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربيـــة مـــن 1967 إلى بدايات التسعينيات لتعود من جديد مع "محمد عرعار وابن هدوقة والطاهر

---

[1] - خرفي صالح: الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص13-14.

[2] -واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 67.

وطار" يفترض بنا طرح الأسباب الرئيسية التي كانت من وراء ذلك أو على الأقل ايجاد تفسير معقول يبرز هذه الحقيقية المجسدة أمام أعيننا.

ولعل من أهم الأسباب أخرت ظهور هذا الفن "حرب الدمار" التي عانى منها الشعب الجزائري، وبما أن المتفق من عامة الشعب يتأثر بالظروف المحيطة به فقد كانت تلك الظروف الاقتصادية المزرية والمملوءة بالتناقضات أمرا طبيعيا في تخلف وضع ثقافي مهزوز إلى حد بعيد، ويفتقد لكثير من مقوماته الاساسية لأن الركائز التحتية التي أفرزت هذه البنى الفوقية لم تكن قد وصلت بعد إلى مرحلة التطور الكامل.

فالفن القصصي الذي ورث رصيدا ثوريا جادا ومشرقا كان عليه أن يحقق قفزة نوعية، الشيء الذي لم يتم في ظل الظروف المشار إليها هذا مع العلم أن هناك مثلا القصة القصيرة تجارب رائدة بدأ اصحابها يسيرون نحو كتابة الرواية كتطور جد طبيعي يجسد حلتهم الأدبية والفكرية والفنية وأهم هؤلاء "ابن هدوقة، الطاهر وطار" هذا الأخير الذي ختم مجموعته القصصية "الطغاة" بقضية استوفت معظم الركائز الأساسية للعمل الروائي "رمانة" ولكنها لم تصل إلى فن رواية كاملة البناء، لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، زيادة على أن ثقافة الأديب نفسه وظروفه الخاصة الموضوعية لم تكن لتساعد ولا تسهم في ظهور الرواية ولكنها خلقت التربة التي تستبنى عليها أعمال أدبية جادة فيما بعد خصوصا مع التحولات الديمقراطية في بداية السبعينيات ويضاف إلى ذلك سيطرة النزعة الدينية والميتافيزيقية، فمعظم الكتاب والروائيين كانوا إما ذوي ثقافة أزهرية أو قروية أو زيتونية، الأمر الذي لم يحدث تلك القفزة النوعية والكمية المرتقبة.

في الوقت الذي كانت فيه الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية قد قطعت أشواطا كبيرة وحققت انجازات فنية ضخمة لا على المستوى المحلي وحده ولكن على المستوى العالمي كذلك، ساعدتها في ذلك ظروف خاصة افتقدتها الرواية الجزائرية ذات الاصول العربية من بينها ثقافة الروائيين أنفسهم الذين كانوا متفتحين على آخر

الانجازات الروائية العالمية، وإضافة إلى الرصيد الروائي الجيد الـذي خلقـه كتـاب جزائريون وفرنسيون تجنسوا قبل الثورة.

وقد كان للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية الفضل في التمهيد لظهور نظيرتها باللغة العربية، حيث ظهرت بكثافـة مصـاحبة التغيـرات الاجتماعيـة والتحـولات الديمقراطية بل كانت الوجه الآخر الفني طبعا، وهذا مـا يجعلنـا نقـول إن الروايـة الجزائرية المكتوبة بالعربية بعد الاستقلال كانت بمثابة الوليد الشرعي الـذي أنجبتـه التحولات الثورية بكل تناقضاتها.

فقد بقي الفن يسير على وتيرته الثقافية إلى أن جاء "الطـاهر وطـار" وحـاول بإبداعاته إخراج الفن القصصي بما فيه الروايـة الجزائريـة مـن التـابوت اللغـوي والمضامين المستهلكة ومع بداية عقد التسـعينيات التـي شـهدت تغيـرات سياسـية واجتماعية كبيرة، كانت الولادة الثانية والأكثر عمقا للرواية الجزائرية، المكتوبة باللغة العربية وجاءت "اللاز" كانجاز فني جريء وضخم يطرح بكل موضـوعية وواقعيـة قضية الثورة التي فرضتها تلك المرحلة والشيء نفسه قام به "مـرزاق بقطـاش" فـي روايته الأولى "طيور في الظهيرة" فقد حاول أن يغطي فيها قسما من انجازات الثـورة الوطنية التي لم تتح فيها الظروف الصعبة للرواية العربية في الجزائر، أن تقوم بدورها التاريخي، والى جانب هذه النتاجات الروائية نجد عملي الدكتور مرتاض "نار و نور" ولعبد الحميد بن هدوقة "دماء ودموع، نهاية الأمس" ولمحمد عرعار رواية "ما لم تتروه الرياح" لمحمد المنبع "صوت الغرام" ولعبـد الحميـد الشـافعي "الطالـب المنكـوب" ولإسماعيل غموقان "الشمس تشرق على الجميع الأجساد المجموعـة" ولعبـد الحميـد العزيز عبد المجيد "حورية"[1].

[1] ـ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 98.

ولعل ما نستطيع قوله هو أن الأدب الروائي العربي في الجزائر قد حاول في معظمه وبمختلف اتجاهات أن يكون في مستوى الثورة الوطنية، لكن الاختلاف حول تقويم هذا الأدب وتقويم اتجاهاته السياسية والفنية، ويظل قائما نظرا لاختلاف التجربة والوعي والممارسات القومية لدى كل واحد ومهما يكن، فقد تناول هذا الأدب بتغيير قضايا الانسان البسيط وبضالته التي يخوضها على كافة الأصعدة من أجل تغيير الأوضاع إلى ما هو أحسن.

وقد شهدت الرواية الجزائرية تطورا ملحوظا تمثل في ظهور سيل من الروايات[1] تناولت مواضيع شتة اجتماعية وثقافية وسياسية، تتدرج منها قضية الوطن وقضايا أخرى من بينها قضية المرأة.

لقد اختلفت وجهات النظر حول قضية المرأة من عصر لآخر فكان الوضع المأساوي للمرأة بمثابة هاجس للكتاب والمفكرين العرب الذين نبهوا إلى خطورة الأفكار الرجعية البدائية، المجحفة في حقها، فدافعوا عنها وطالبو بتحريرها من بين هؤلاء "سلامة موسى" و "جبران خليل جبران" و "قاسم أمين" حيث تجرأ هذا الأخير ليقول للمجتمع الأبوي الذكري: ((المرأة وما أدراك ما المرأة انسان مثل الرجل لا تختلف عنه في الأعضاء ووظائفها ولا من الاحساس ولا في الفكر)) [2].

تحررت المرأة بالفعل وأصبحت تهتم بقضايا مجتمعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية ((حجم تواجدها في ايقاع اكبر وسيرها نحو التحرر والمساواة ملحوظا)) [3]، وتأتينا من ذلك صورة المرأة التي تحمل وجها للتقديس داخل الأسرة فتغير معاملة الزوج الذي كان فضا وأصبح يتنازل لإرضاء نزواتها ورغباتها مما أتاح لها أن تكون محدثة نغمة في المجتمع، إذ لا يمكن تجاهل وجود نساء لهن

---

[1] - واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 86.

[2] - قاسم أمين: تحرير المرأة، المركز الثقافي العربي، 1990، ص 7.

[3] - خديجة الصبار: المرأة بين الميتولوجيا والحداثة، افريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص 53.

نصيب من صنع الحضارة حيث تولين الملك والمناصب القيادية وقبضن على زمام السياسة وتعطين شؤون الادارة.

كان هذا التباين في نظرة المجتمع اليها عبر التاريخ بين اضطهاد واحترام المنبع الذي نهل منه الأدباء، إذ لا تخلوا الأعمال الأدبية من حضور المرأة التي أسرت أقلام وقلوب العديد من الأدباء العرب فمن لم ينظم فيها شعرا، ألف قصصا وروايات.

أما في ما يخص الأدب الروائي الجزائري فقد كان تناوله لقضية المرأة جديدا وخارجا عن المألوف، تحدث عن المرأة التي غادرت البيت ووقفن إلى جانب الرجل مناضلة وثورية من أجل التحرر والديمقراطية.

والدكتور "عبد المالك مرتاض" على سبيل المثال لا الحصر يجسد هذه القضية على الصعيد الفني من خلال روايته "نار ونور"[1]، التي يتحدث فيها عن تلك المرأة المناضلة التي لا مانع لديها من أن تكون ثورية شريطة أن تحافظ على شرفها، والرف مأخوذ منها بمعناه الضيق المبتذل الذي لا يبتعد عن القضية الجنسية التي لا تطرح في الفكر الاصلاحي على أساس أنها المحور الأساسي لتحديد قيمة الانسان الحياتية والأخلاقية.

ونجد "نور الدين بوجدرة" في رواية "الحريق"[2]، يتعامل مع المرأة بشكل انساني أكثر، فهو لا ينظر اليها ككتل جامدة، ولكن كعنصر فعال ومنتج يمكن الاستفادة من عطاءاته متى حررت المرأة من قداسة الأسرة الاقطاعية.

ويوجد من الأدباء من استخدم المرأة كقناع لتمرير آرائهم ومن بين هؤلاء "عبد العزيز عبد المجيد" في روايته "حورية"[3]، التي هي عبارة عن حكاية تقليدية تروي حياة امرأة تعيش في كنف أبيها مع جماعة من إخوانها، تدور الايام والأعوام ويموت

---

[1] - عبد المالك مرتاض: نار ونور، دار الهلال، القاهرة، 1975.

[2] - نور الدين بوجدرة: الحريق، الشركة التونسية للفنون والرسم، تونس، 1987.

[3] - عبد العزيز عبد المجيد: في رواية حورية، مطبعة قسنطينة، 1976.

الأب ويتقاسم الأبناء التركة، تتزوج هذه الأخيرة وتنجب أطفالا عديدين، تعيش الأسرة في سعادة وهناء دون أن يحرك طمأنينتها طارئ، وفجأة تتمزق الأسرة بعد اندلاع الحرب التحريرية بالجزائر 1954، ويبدأ زمن التعاسة على غرار ما كان سابقا.

ويرى المجتمع لحياة المرأة "حورية" أنها ليست في النهاية إلا الجزائر عبر معظم مراحل تكونها.

ويصرح ابن هدوقة في روايته "ريح الجنوب" تصوره وموقفه من المرأة ويربط مصيرها بالحظ، فهي إن كانت محضوضة تصادف زوجا يشاركها حياتها وكل متعابها وإن لم يكن كذلك فمصيرها التعاسة والحياة البائسة ونرى أن طرحا مثل هذا مخطئ في جوهره لأن مصير الرجل والمرأة في النهاية واحد كما تحدث من خلال العجوز "رحمة" المرأة المنتجة وهي الجزائر التي تجسد من خلال الرسوم تاريخ قريتها وشعبها[1].

يعتبر هذا الحضور المكثف للمرأة في الرواية الجزائرية، رغم اختلاف نظرة الكثير من الكتاب اليها عن قوتها ومكانتها الرفيعة التي مكنتها من الولوج في عالم السياسة والقانون الأمر الذي جعلها مركز اهتمام القادة والسياسة نحو فهم من استحواذها على السلطة وعليه يمكن أن نستنتج ما يلي:

- تماهي المرأة/ الارض في الروايات التي اتخذت الحرب التحريرية موضوعا لها .
- تماهي المرأة/ السلطة في روايات ما بعد الثورة، لتجسد التحول السياسي وتبني الاشتراكية لاسيما في عمل "ابن هدوقة" الثاني "الجازية والدواريش"

ومن الروائيين الذين تناولوا المرأة في أعمالهم نجد الكاتب الجزائري "واسيني الأعرج" الذي جسدها في روايته "سيدة المقام" وهو من الروائيين الجزائريين القلائل

[1] -عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1976، ص 18.

الذين نجحوا في ابداعهم الأدبي واستطاعوا أن يتجاوزوا حدود الوطن ويفرضوا نتاجهم الروائي في مختلف أنحاء الوطن[1].

2- تعريف الروائي واسيني الأعرج:

من مواليد 1954 بقرية سيدي بوجنان ولاية تلمسان، جامعي وروائي يشغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعتي "الجزائر المركزية" و"السوريون بباريس" ويعتبر أحد أهم الأقلام الروائية في الوطن العربي، وتنتمي أعماله إلى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شيئ واحد، بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية في العمل الجاد على اللغة وهز تقنياتها.....

وقد تحصل الكاتب سنة 2001، على جائزة "ابن هدوقة" للرواية الجزائرية وترجمت أعماله إلى العديد من اللغات الاجنبية من بينها الفرنسية، الألمانية، الإيطالية السويدية الإنجليزية الاسبانية.

ومن أهم مؤلفاته: "نوار اللوز"، "فاجعة الليلة السابعة بعد الألف"، "وقع الأحذية الخشنة"، "ذاكرة الماء"، "شرفات بحر الشمال"، "سيدة المقام"، وهذه الأخيرة التي اخترتها أن تكون موضوع بحثي، يدور حول تمظهر الصراع الذكوري والأنثوي في ابداع واسيني الأعرج من خلال "سيدة المقام".

3- قراءة في مضمون الرواية:

يعد واسيني الأعرج من الروائيين الذين اهتموا بقضيتي المرأة والسلطة في رواياته المختلفة، ومن أهمها "سيدة المقام" الصادرة بعام 1995.

---

[1] - سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، ط2، 1992، ص49.

وتعود أحداث الرواية إلى فترة ما بعد الثمانينات حيث يصور لنا الكاتب واقع المجتمع الجزائري خلال أحدا عشر فصلا حاول فيها أن ينقل لنا أحداث الرواية رفقة بطلته "مريم" تلك الفتاة التي قتل أبوها في ظروف غامضة وسرعان ما تم تزويج والدتها رغما عنها بأخيه "العباس" فعاشت حياتها إلى جانب زوج أمها الذي لم يمنحها الكثير من الحب والحنان، وشاءت المصادفة أن التقت "بأن اطوليا الروسية" في أحد الأعراس فطلبت منها الانخراط في بالي سيدي بلعباس الذي كانت قد أنشأته، ورحبت والدتها بالفكرة لتخرجها من الكآبة التي تعم المنزل، وحتى عمها أعجبه ذلك لأنه يريد التخلص من حضورها ليتفرغ لأمها، فلم تكن مريم تعني له شيئا مهما.

وعندما انتقلت "أنطوليا" إلى العاصمة بتدخل من وزارة التعليم العالي ووزارة الثقافة أخذت مريم أمها معها، وبعد خروج عمها من السجن الذي دخله بأسباب عمل الشغب التي قام بها مجموعة من الرجال الملتحين، باع مسكن سيدي بلعباس والتحق بهما، لم تكن لديهم معارف في العاصمة سوى "أنطوليا" وخالتها الوهرانية، التي تولى زوجها تدبير المسكن فعرفهم "البسكري" وقاموا بشراء مفتاح المنزل باسمه وهكذا أصبحت تربطهم بعائلته علاقة طيبة، وقد كان لديهم ابن يدعى "حمودة" يشتغل بالبريد المركزي، أراد التودد من مريم فأدخل لهم التلفزيون دون أن تطلب ذلك وساعدها على التسجيل للحصول على رخصة السياقة، فأعجبتها لغته البسيطة وحديثه المستمر عن الاضطرابات وعن الظلم الاجتماعي لاسيما أنها كانت تعاني جو المنزل المليء بالبؤس والتوتر والكآبة بسبب عمها "العباس" الذي منذ قد علم بعدم قدرته على الإنجاب حين صارحته زوجته بأن مريم ليست ابنته، بل ابنة أخيه "لحسن"، وهو يعيش حالة اكتئاب حيث صار منعزلا عنهم ينزوي في حجرته ويقضي يومه في تلاوة القرآن بشكل جنائزي ثم يذهب إلى المسجد حاملا معه زاده من الكتب الصفراء التي تتحدث عن أهوال يوم القيامة وعالم الشياطين والمرأة المسلمة...وفوق هذا حرمهم من التمتع بكل الوسائل الحضارية فباع التلفزيون وبعض أثاث المنزل، وعندما حدث زلزال العاصمة

كان أول من نزل يركض وطلب من زوجته البقاء في البيت خوفا من أن يراها الناس في الشارع، وهذا راجع إلى تعصبه وأفكاره التصوفية.

جعلت هذه الوضعية مريم تبحث عن أي منفذ للخلاص من هذا الجو الخانق، فلم يكن أمامها خيار غير القبول بالزواج من حمودة الذي تقدم من خطبتها، ولسوء الحظ اكتشف ليلة الزفاف أنها لا تستطيع أن تمنحه جسدها لأنها لم تكن تشعر بأي عاطفة اتجاهه، فتفهم الموقف في البداية لكنها عندما استمرت في عنادها اضطر لأن يفرغ فيها رغبته المكبوتة، الأمر الذي زاد من كراهيتها له وحقدها عليه ذلك أن همه الوحيد كان الحصول على جسدها بأي طريقة فلم يعر لمشاعرها وإحساسها أي اهتمام، مما أدى الى اتفاقهما على الطلاق.

لكن هذه القصة الرديئة لم تنتهي عند هذا الحد، فعندما كانت مريم بصدد مغادرة المنزل ثار في وجهها ومنعها من أن تأخذ أية قطعة من ذهبها وهي في الأساس لم تكن لها نية لأخذ أي شيء يذكرها به فأيقنت بأنها لأول مرة اتخذت قرارا صائبا في حياتها المليئة بالحماقات.

وبعد أيام من مغادرتها للبيت وصلها استدعاء من الشرطة تطلبها للمثول أمام المحكمة بسبب الشكوى التي تقدم بها زوجها يتهمها فيها بتكسير باب بيته الخارجي وسرقة حوائجه الخاصة، فلبت مريم ذاك الاستدعاء وعند مناقشتهم للأمر انتهى الحكم لصالحها، وبينما هي تغادر بيت المحكمة سمعت قاموس الشتائم ينزل على رأسها (فاجرة، عاهرة، خبيثة..) من قبل أصحاب زوجها الملتحين الذين تعرف عليهم بعد طلاقها منه، فالعجب في هذا البلد أنه كلما أخفق في حياته التجأ إلى ربه يتعشقه بكثير من النفاق.

مرت مريم في حياتها بالكثير من المواقف المأساوية، بالإضافة إلى زواجها الفاشل أصيبت برصاصة في دماغها كادت تفقدها حياتها، حيث أوصى الأطباء بعدم الاكثار من الحركة ووصفوا لها مجموعة من الأدوية لمنع تحرك الرصاصة، فلم

تنقص هذه الاشياء من غريماتها وقوة إرادتها فواصلت تدريباتها في الـرقص رفقـة "أنطوليا" وبتشجيع من أستاذها في الفن الكلاسيكي "الرجل الصغير" كما كانت تـدعوه، هذا الأخير الذي تعرفت عليه في الجامعة وكان الشاب الوحيد وسط مشايخها، الأمـر الذي جعلها تنجذب اليه وتستلطفه وتشعر بارتياح كبير أثناء الحديث معه، وكان مـن بين الذين يخففون عليها آلامها ويساعدونها في حل مشاكلها، وشيأ فشيأ أصبحا صديقين حميمين ثم تحولت هذه الصداقة إلى علاقة غرامية مما زاد في تحفيزها علـى القيـام بأعمال جديدة منها الرقصة البربرية، التي سافرت من أجلها إلى بلاد القبائل وجمعـت المعلومات الخاصة بها.

ثم بعد ذلك تقديم العرض الذي لقي نجاحا كبيرا ونال اعجاب الجمهور، حيث كان مدهشا، كتبت عنه الصحافة متحدثة عن امكانية احداث بالي وطني متطور، ورغـم أن مريم شعرت فيه بدوار خفيف بعد الانتهاء من الرقص، إلا أنه بمجرد شرب الأقراص هدأ كل شيء واستمرت بعدها في التحضير للرقص على سيمفونية "شهرا زاد" لـــــ "لرمسكي كور ساكوف" مخترقة كل الخطر غير مبالية بالرصاصة التي كانت تسـكن دماغها منذ أحداث الجمعة أكتوبر 1988، هذا اليوم الذي بقي محفورا في ذاكرة مريم.

كانت الوقائع قد بدأت يوم الثلاثاء ليلا في باب الواد، المشادات كانت عنيفة جدا انطلقت بالرشق ثم انتهت بالحرق، ثم أخذت النار تستق سماء الخريـف والعواصـف وبدأت المزهريات والزيت الساخن والحجارة والأواني المطبخية تتساقط من شـرفات الطوابق العالية، تحولت تلك الليلة إلى عواء الذئاب الضالة، وفي الصباح التقت مـريم بأستاذها بالمعهد الأعلى للفنون الجميلة، وبينما هي تحدثه عن تلـك الليلـة الماضـية سمعوا دويا مثل البحر ينزل من فوق على رأس المدينة، كانت الموجة البشرية كبيـرة إذ حطموا كل شيء في طريقهم، أغلقت الشوارع والمحلات ووزعت وثـائق سـرية تدعوا إلى الاضراب العام يوم 1988/10/05، وعند عودتها في المساء إلى المنـزل طلبت منها أمها الذهاب إلى بيت خالتها الوهرانية في "باش جراح"، فاتجهوا إلى هناك

وقضوا الليلة عندها، وفي الصباح نزلت مريم وابنة خالتها على الرغم من الحاح أمها بعدم النزول لأن المدينة كانت تغرق في فوضى عارمة.

اتجهت مجموعة بشرية نحو الثكنة العسكرية للاستيلاء على الأسلحة وبدأ الرصاص يملأ السماء بالألوان الحمراء، وأثناء هذه الأحداث تقدمت شاحنة بسرعة فائقة والرصاص يثقبها من كل جانب، ولم تتوقف حتى اصطدمت بالحائط، فراحت مريم تركض باتجاهها في محاولة انقاذ السائق، وقبل أن تضع يدها لفتح الباب شعرت بحرارة مفاجئة مصحوبة بألم شديد داخل دماغها، فشعرت بدوار كبير ولم تستطع السيطرة على نفسها فتهاوت على جثة كانت عند قدمها، ولم تستيقظ إلا في ساعة متأخرة بالمستشفى "مصطفى باشا"، على وجه الطيب الفلسطيني صديق استاذها الذي كان يهتم برعايتها والحفاظ على صحتها.

فقدت هذه المدينة بريقها وعنفوانها منذ أحداث أكتوبر 1988، حيث بدأ حراس النوايا يزيحون السلطة وأخذوا يشترون مثل ريح الجنوب الساخنة، فهم لا يأتون إلا عندما تخسر المدينة سحرها، مدينة ساحلية كانت تعشق الالوان ووقفات النوارس البيضاء صحرها بنو كلبون ويجهز عليها الآن حراس النوايا الذين يدفعون الناس إلى الموت البطيء، قضوا على هذه البلاد وقادوها إلى الخراب ولم تعد للثقافة مكان فيها حيث كانوا كل يوم يغلقون أبواب الصلاة الفنية ويوقفون السهرات ويطاردون رحلات المسرح.

إنه الارهاب حول الحياة إلى حرب معلنة ضد الفن، حالة طوارئ نعيشها بخوف والدولة غائبا دوما وقت الحاجة، وفي ظل هذه الأوجاع صار من المؤكد أن عرض شهرا زاد لن يؤدى بعد التهديدات بغلق الصالة من طرف رئيس البلدية الاسلامية وطرد أنطوليا بشكل مقرف لأن وجودها في البلد لم يعد مرغوبا فيه، وقبل مغادرة أنطوليا وتركها للبلاد استدعتها مريم والرجل الصغير إلى صالة الرقص قبل غلقها،

وأدت لها رقصة "شهرازاد" التي كانت مصممة على عرضها حتى ولو دفعت حياتها ثمنا لذلك، حاول الأستاذ أن يمنعها لكنه تراجع خوفا من تكسير فرحتها.

وفي اليوم الموالي قامت السلطات بإسكان منكوبي الزلزال في صالة الرقص، مما أدى إلى حدوث مناوشات بينهم وبين السلطة (زملاء مريم) وقد شاهدت مريم تلك الأحداث بينما كانت تمر بالقرب من الصالة ويتبعها أستاذها، ثم دخلت في نقاش حاد مع رئيس البلدية الملتحي دفاعا عن حقها وحق الطلبة ولكن محاولتها باءت بالفشل، فعادت بعدها إلى المنزل وهي منهارة، ومما زاد حالتها سوء في تلك الليلة هي محاولة عمها العباس ذبح أمها فدافعت عنها بكل قوة، وعندما أغمي عليها نقلوها إلى المستشفى، وهي في حالة سيئة بين غفوة وصحوة.

كانت كلما استيقظت نادت على الرجل الصغير وطلبت من الطبيب الفلسطيني أن يدعوه للحضور وأن يصطحب معه معطفه الشتوي الذي كانت تحبه وروايته الأخيرة واسطوانة شهرازاد "لرمسكي كور ساكوف" عند إذن هاتفه الطبيب وأعلمه بما حدث فجاء مسرعا ودخل الغرفة حيث وجدها ممددة، وتحدث معها قليلا والكلمات تخرج منها بصعوبة فطلبت منه أن يضع لها الشريط، وأن يقص عليها روايته وفي هذه الأثناء لفظت مريم أنفاسها الأخيرة وانتقلت إلى رحمة الله، كل هذا وهو لا يعلم أنها ماتت منذ خمسة دقائق، فغادر المستشفى منهارا وسار تائها وسط شوارع المدينة إلى أن وصل جسر "تليميلي" أراد أن ينتحر لأنه بموت مريم فقد كل ما يربطه بالحياة، لكنه تراجع عن فكرته هذه وصعد إلى متكأ الجسر وأخذ يصرخ (القتلة المشاة..القتلة الطغاة...)

الفصل الأول:
تجليات الصراع على المستوى الجنسي

المبحث الأول : المرأة طرف مفعول به / فعل الاكراه.

المبحث الثاني : المرأة طرفا مستلبا.

المبحث الثالث : المرأة طرفا فاعلا.

إن العلاقة بين الذكر الأنثى هي دوما ضمن إطار العلاقات الاجتماعية المحددة وفي مرحلة تاريخية معينة, ومكان معين وليدة المجتمع بعلاقاته الانتاجية و الاجتماعية لقد قدم لنا التاريخ القديم أروع الأمثلة على مثل هذه العلاقة, حيث سيطرت الرجولة في أساطير مابين النهرين وبلاد الشام .

((إن الكلمات التي تنطوي تحت قاموس الجنس تكررت كثيرا في أساطير الخصيب مثل أسطورة – دو موزي وأنانا- تدل على امتزاج عالم الإنسان بعالم الطبيعة من ناحية وعلى سيطرة الرجل على المرأة, وفي الوقت نفسه على ارتباطه بها وعلى أنه لا يكتمل إلا بها ومن خلالها))[1].

فهي منبع هواه ووجوده حيث تشكل برحمها امتدادا للطبيعة في قدرتها على الإخصاب والإنجاب ((إن – عشتار- التي عاشت إلهة قوية بين الكثير من الإلهات ومن تم استمرت آلهة ذات صفات شمولية بين آلهة الذكور على مر العصور فهي إلهة الحب والجنس والحياة والموت))[2].

هذه الطلال الأسطورية بالأصح هذا الجنس يتفرغ في رواية واسني الأعرج لكنه يتجاوز الأسطورة لأن الأسطورة تشكلت في مرحلة كان الإنسان أضعف من أن يجابه قوة الطبيعة ويستغلها لصالحه, أما ما يبتدئ به فه التناغم بين جسده تملكه المرأة – أنثى- قادرا على الإمتاع والمؤانسة, وقادرا أيضا على استعمال الحياة بأوليات الوجود الإنساني وعلى نفي ما ليس أهلا للحياة, حتى في أكثر مواقفها ضعفا هذا الجسد الذي يضاهي الطبيعة فورانا وغليانا الذي في الجنة والجحيم, فرغم امتلاك الإنسان للطبيعة وسيطرته عليها خاصة في عصرنا الراهن فهو في كل ذلك لا يستطيع الخروج من دائرتها, إنه مرتبط بها بعيش بها ومن خلالها .

إن جسد المرأة في المفهوم الشائع والمعترف عليه لا يجوز الاقتراب منه ولا الحديث عنه إلا بتقديم ما اتفق عليه الآخرون الذين ينظرون إليها, فجسد المرأة لا يحمل غرائز فقط فداخله يوجد ويكمن عالم آخر هو عالم الإنسان, عالم مقموع

---

[1] - فراس سراج: لغز عشتار, الأنوثة وأصل الدين والأسطورة. قبرص, ط1, ص86.

[2] -عبد الوهاب بوشليحة: إشكالية الدين- السياسة- الجنس في الرواية المغاربية –رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة سنة 1970-1990, ص15.

إجتماعيا, وعالم مستلب إنسانيا وعقل مصادر عليه حكم ألا يفكر, ألا يسأل فكل ما يجب القيام به مرسوم سابقا هنا لا يقدم الجسد نفسه فقط, إنه لغة المجتمع الذي ضمه ويضمه, والبحث عن تفاصيل الأشياء الغامضة في المرأة لبناء ذلك النظرية الجنسية في النص الروائي هو نفسه البحث عن هويتها الإنسانية والثقافية والأدباء قاعدة إنسانية في بعض الأحيان وقاعدة مبدئية في أحيان أخرى, وقد تطرق الكثير من الكتاب والأدباء إلى الحديث عن الجنس وخلفياته ومدى تكافؤ كفتيه بين طرفيه (الذكر والأنثى), وقد تجلى الجنس في صوره المختلفة الإيجابية منها والسلبية وكان الأديب في كل مرة يوضح آليات العملية الجنسية ونتائجها.

وما يهمنا في هذا المبحث أو هذا الفصل هو تسليط الضوء على فكرة الجنس في رواية ((سيدة المقام)) للروائي الجزائري ((واسيني الأعرج)).

إعتنى الكاتب في هاته الرواية ((سيدة المقام)) عناية فائقة بالجانب الجسدي وحاول طرحه في صور عديدة ومختلفة, تارة كانت فيها المرأة مرغمة ومنقادة وتارة حائرة ونادمة في نفس الوقت, وأخرى راغبة وطالبة .

المبحث الأول: المرأة طرفا مفعولا به / فعل الإكراه.

نجد في هذه الرواية أن الزواج يتم بطريقة تقليدية, ومن نماذج ذلك أم مريم التي تزوجت مبكرا من رجل لم تحبه ولم يحبها, ولكنها منذ الليلة الأولى أحست بقوته وشجاعته وفتوته وكبريائه وبعد شهر من زواجها غادر " لحسن" للإلتحاق بصفوف الجيش وبعد فترة وجيزة جاءهم نبأ وفاته فحزنت المسكينة على سوء حضها, وسرعان ما تم تزويجها بأخيه " العباس" ولم يتركوا لها حتى فرصة الرد أو إبداء الرأي فالزوجة ليس لها خيار سوى الإنصياع لأوامر الزوج الجديد والتكيف معه ومحاولة تلبية حاجياته بمختلف أنواعها فجرح وفاة زوجها لم يلتئم إذ بها تنام في الفراش نفسه مع أخيه, ((لكن وجع الرأس لم يمت بعد, ماتت كل الأشياء التي كانت تملأ قلبي)). لم يكن الأمر عسيرا تقول أمي, كان العريس باردا زوجة شهيد وهجالة, يا بنيتي أخذت حقي من الدنيا في تلك الليلة الأولى, هو نفسه لم يلبس برنوس العرس الأبيض... لم أعرف معنى الرجولة إلا قليلا بالأساس.... في نفس السرير يا الله لحسن وأخوه؟ لم يغادرني وجه لحسن لحظة واحدة[1].

انطلاقا من هذا المقطع تبدوا لنا المرأة بصورة جلية واضحة أنها دمية مسلوبة الإرادة تفعل ما يملى عليها من طرف السلطات التي تعلوها شأنا وفي هذا المقطع تتمظهر صور الخضوع والاستلاب والإرغام من طرف سلطة الحماة التي لا تريد لزوجة ابنها المتوفي الخروج عن دائرة الأسرة والبحث عن بديل ربما تجد الحب أو الزواج الذي طالما حلمت به بل أن الحياة لا تترك لزوجة إبنها حتى فرصة التفكير في هذا الأمر وسرعان ما تطلق لفكرها العجائزي التقليدي الموغل في البدائية والتفكير الرجعي ليرسوا بها الامر إلى فكرة تزويجها من ابنها الثاني "العباس" وبالتالي فالمرأة هنا منقادة مغلوب على أمرها حتى فرصة إبداء الرأي .

ارتبطت النظرة إلى جسد المرأة في مجتمعاتنا العربية دوما بالمقدس والمدنس في آن واحد, فهو مقدس لأنه يتموقع في دائرة المحظور والممتنع والمدنس لأنه في الذاكرة العربية رمز الشرف ولهذا نتعامل معه بخوف وحذر .

---

[1] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, منشورات الفضاء الحرة, ط1, 2001, ص73.

ولعل فكرة الشرف في مجتمعاتنا العربية طغت عليها تلك السلبية والمحدودية التي تدور في فلك تلك المعتقدات الرجعية, فالكاتب في رواية ((سيدة المقام)) عالج فكرة الجنس من روئ وزوايا متعددة[1].

((.... تصور حتى هذا الزواج لم يجد وقته ليتنفس الهواء بعيدا عن كآبة الحاضر تقول مريم هو بدوره مر بسرعة مذهلة, كنت حزينة وأشعر بالغثيان والقلق عندما إقترب مني في ليلة الزفاف .... وكل مرة تدق الأبواب على رأسه وعندما أخفق, سحب سكينا وهددني إذا لم أخضع لأوامره....فتح أصبعه بهدوء وعجب بدون الم تم مسحه بقطعة القماش الخاصة بالزفة فتح الباب رمى الحزقة في وجه الجموع))[2].

انطلاقا من تحليلنا لهذا المقطع يتضح لنا بأن المرأة في علاقتها بالرجل مرتبطة من الناحية الجنسية بقضية الشرف ارتباطا وثيقا, فمكمن رجولة الرجل في المفهوم الشائع هو في مدى توفيقه في العثور على زوجة شريفة, فالشرف عنده يكمن في غشاء البكارة وفضه معناه إثبات رجولته, والبطلة هنا " مريم" متزوجة هي الأخرى تحت ظروف قاهرة آلت إليها الأسرة مؤخرا فعمها " العباس" صار مريضا نفسيا والأم أرادت لابنتها الخلاص فنصحتها بالزواج كل على ما يبدو أن هاته النصيحة لم تكن في محلها " فمريم " قابلت ما لم تكن تظنه في الحسبان لم تستطع التغلب على نفسها ولم تستطع تعبر قناعتها الخاصة والتي تحمل كل العداء والرفض لمثل هذا الزوج التقليدي الروتيني في الوقت نفسه والذي يدور مفهومه في حلقة مفرغة ألا وهي " فض غشاء البكارة".

إذا النظرة للجسد تشكل حالة تاريخية خاصة في ثقافة المجتمع الذي أنتجها ويبدو الجسد عامة وفي نظر الأغلبية مصدر صراع وتهافت فالرجل يسعى دائما لامتلاك المرأة وأول ما يكسبها هو جانبها المادي المحسوس, فيعنى به عناية فائقة ويوليه الاهتمام الأكبر ثم بعد ذلك يتجه إلى جوانب شخصيتها وميولاتها ويدرجها ضمن

---

[1] -نبيلة منادى: الخطاب الانثوي في الجزائر– دراسة سوسيو بنائية–, بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة عنابة، 1998–1999, ص47.

[2] -واسيني الأعرج : سيدة المقام, مصدر سابق، ص89.

الأمور الثانوية وكثيرا ما يهملها ويصبح الجسد هو الشغل الشاغل وأهم ما يجذبه في المرأة .

((كان قد انقض عليا كالوحش وجرني إلى الفراش, رأسي يدور الأرض تدور ووجهه يتلون بالدكنة مقاومتي كانت ضعيفة ومع ذلك كنت واعية لما ربطني من يدي على طرفي السرير....))[1].

يبدو من هذا المجتمع أن " حمودة" وبعد أن باءت محاولاته بالفشل في إقناع مريم بالحياة الزوجية العادية والتي تتلخص في نظره في تلك الليالي التي تقضيها "مريم " وتلبي له كل حاجياته وتشبع رغباته ونزواته, فبعد الإحباط الذي تلقاه من مريم حاول أن يحقق ما يريده عنوة وحاول إرغامها بصورة حيوانية لا أخلاقية فأكرهها على الرضوخ لأوامره ونزواته وجعل منها جثة هامدة أو دمية مسلوبة الإرادة أفرغ فيها كل نزواته ورغباته المكبوتة فأنقض عليها كالحيوانات المفترسة التي تنقض على الفريسة ولا تهمها تأوهاتها وتوسلاتها.

يعتبر هذا القمع الذي مارسه الرجل العربي على المرأة أصدق تعبير عن خوفه قوة المرأة الواعية وقدرتها الكيانية فكريا ونفسيا فمنذ أن بدأ الرجل يتبوأ السلطة في المجتمع لم يكن سعيه إلى المرأة لأخذها واغتصابها بسبب ((حبه لها أو حبه في الإنجاب بل كان رغبة عدوانية للانتقام....))[2].

((الرجل يركض وراء أنثاه في أغلب الأحيان ليس حبا, ولكن ليفرغ فيها جحيمه وكبته))[3].

يتضح أن المرأة لكي تصل إلى الاعتراف المجرد بشخصيتها لا بجسدها تتساوى في الحضور مع الرجل, وهو ما يمثل لها العالم الحلم الفاصل بين الذات في الواقع بالرجل لا بد أن تتخلى عن انوثتها , لأنها رمز الجنس والجسد ولذلك فإن خلاصها الوحيد هو بنكران جسدها أي نكران طبيعتها لتكون ظاهرة, ولكي تتمكن من تحقيق حضورها في الفضاء الاجتماعي من جهة وحتى لا تكون مجرد جنس من جهة ثانية .

---

[1] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص97.

[2] -نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل, المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1989، ص5.

[3] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص102.

لكن هذا الأمر ظل صعبا على المرأة وتحقيقه وذلك لجملة العوائق والصعوبات التي كانت تصادفها دائما من طرف الرجل, فهو يطاردها دائما مهما تفكر في تغيير التفكير نحوها فإن تلك الصورة المنفية تبقى دائما مطبوعة في نفسه وذاكرته التي يتخذها كمقياس فريد وأحادي للحديث مع المرأة و الاختلاط بها, فالجنس في منظور الرجل هو سبب وجود المرأة وهدفها في الحياة, وإنه لمن الجهل أن تكون هذه النظرة قد طغت على عقول الرجال.

قد كان " حمودة" زوج " مريم" الذي أرغمتها الظروف الاجتماعية القاهرة على الزواج به مما يمكن أن نسقط عليه هذه النظرية ((تراجع قليلا ثم ترك الكلمات تخرج من قلبه, أنا؟ راك غالطة؟ ولد امرأة ورجل؟ رجل فحل فحل يصبح حبها... وبقعر السماء ويجبن الماء لو كان عندي امرأة كاملة كنت ولدتها خميس مرة...))[1].

نستنتج من كل ما تقدم أن المرأة تتجلى لنا في صورة سلبية حيث تعاني القهر والاضطهاد, فهي مهما حاولت الخروج عما رسم لها بإبراز مقدرتها الكيانية, فكريا ونفسيا تجد الصد والردع, حيث أن أفضل وسيلة لوضع حد لها هي القمع لإعادتها أي حالة الرضوخ والإستسلام لأنها أصبحت عائقا في تمردها على الرجل.

إن النظرة للجسد تشكل حالة تاريخية خاصة في ثقافة المجتمع الذي أنبتها إن الخطيئة بوصفها مصدر إغواء للآخر (الرجل) إذ يتم إنكاره وبإخفائه ((وهذا الإنكار هو الذي يحدد بطبيعة الحال طبيعة العلاقة بين المذكر والمؤنث في لحظة وعي النص ويبدو الجسد في صوره العامة كما لوكان منتوجا يتم توزيعه والتصرف فيه متى ظهرت عليه علامات النضج شأنه شأن أي منتوج))[2].

وقد طغت على رواية " سيدة المقام" هذه النظرة القائمة وكانت تكاد تتكرر في كل فصل فالرجل في صراع دائم مع المرأة وبؤرة هذا الصراع تختزل في الجسد, فالرجل لا يتزوج من المرأة من أجل ذلك التوافق الذي رآه حاملا بينهما أو أنه عرفها وأحبها ولكنه تزوجها لأنه رأى بأن هاته المخلوقة هي التي تكون آلته المبرمجة ((.. هل يعرف هؤلاء أن تلك المرأة التي يحسبونها مجبرة إلى الفراش مرغمة تتمنى لحظة

---

[1] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص76.

[2] -نبيلة منادى: الخطاب الأنثوي في الجزائر-دراسة سوسيو بنائية-, مرجع سابق، ص48.

تكون فيها حرة... من غير أن تتذكر أبدا أنها عرفت رجلا كان زوجها وتعرف بيتا استعبدت فيه زمنا طويلا))[1].

أن البطلة في هذا الموضع متذمرة جدا من تلك الصورة السلبية التي ينظر بها الرجل لزوجته على أساس أنها مجرد كتلة ملتهبة من الجنس وبالتالي يضع الرجل نفسه هنا إزاء المرأة موضعا حيوانيا يفتقر فيه إلى أدنى المواصفات الإنسانية, فالمرأة فوق هذا و أكبر من أن تكون مجرد جسد, فهي إضافة إلى ذلك الجسد لها جانب إنساني يجب النظر فيه والبحث عن النقائص التي تعتريه ومحاولة تعويضها.

ومن هنا يصبح الزواج مجرد إعلان مسبق عن حالة إفلاس باطنية ومأساة جديدة تضاف إلى عمق الهيمنة التي تكبر معنا مثلما تكبر فضاءات عيوننا نحو الحقيقة.

إن الاغتراب الذي تعيشه المرأة في المجتمعات المغاربية المختلفة التي تعيش صراعات طبقية سهل مهمة طبقة معينة, هيمنتها في قيادة طبقة أخرى وبالتالي فالتفاوت الإجتماعي الصارخ يخلق مجموعة من العلاقات الاجتماعية, التي لا تنظر إلى الانسان من خلال إنسانيته, وإنما من خلال دوره الطبقي, وفي مثل هذا المجتمع تكون حصيلة المرأة القهر, وإن وظيفتها هي تقديم جسدها للرجل المهين, والسائد والمنظر الأول في إطار هذه العلاقات تكون تصرفات المرأة وسلوكاتها مرسومة على أساس هذا الإغتراب إغترابها عن ذاتها وعالمها الإنساني والإجتماعي السوي(إنها ضحية في كل أخطائها لأنها مقصورة كليا, وقاهرها هو الرجل بمفاهيمه الزائفة, وأدواته ووسائله الإعلامية والقمعية))[2].

ضمن هذا الفضاء تعيش المرأة لأجل الآخر – الرجل– إنها تشكل هنا ما تبثه شاشة التلفزيون– تبث ما يرغب فيه الرجل ويظهر من خلال جسمها جنونه وعهره وسفالته ولكن المرأة تتجاوز هذه السلبيات الحيوانية – إنها تعست بغرائزها.

((فمن خلال هذا القهر الذي هو قهر إجتماعي طبقي يظهر الرجل السافل والمنحط, البطل والإنسان, أن ارتباط الرجل بالمرأة, يظهر لنا مدى انسانية فتبدوا لنا

---

[1] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص25.

[2] -عفيف فراح: صورة البطلة في أدب المرأة, مجلة الفكر العربي المعاصر, 1985, ص147.

صورته مشرقة أو كالحة واضحة أو مشوهة, بتعبير اخر غن المرأة التي تسـيد بهـا الرجل هي نفسها التي تدل على سقوطه نتيجة هذا الإستبداد))[1].

إذن ما معناه أن يكون الرجل رجلا في بلاد فقدت رجولتها ؟ ما معنى أن تكـون المرأة امرأة في بلاد, أن يكون فيها المرء جاء وعليه أن يدفع الثمن غاليا؟)).

[1] -نبيلة منادى: الخطاب الأنثوي في الجزائر–دراسة سوسيو بنائية–, مرجع سابق، ص47.

المبحث الثاني: المرأة طرفا مستلبا.

إن جسد المرأة عموما مرتبط بالعنف وهي دائما أو في أغلب الأوقات والأحيان تبدو مستعدة أو مستغلة جسديا فهي لا تملك حرية اختيار المصير, وقد كانت حرية الشخصيات الأنثوية في أغلب الأحيان طرفا مفعولا به أو مفعول فيه, ولم يكن يتسنى لها أن تظهر في صورة فاعل.

ولعل هذا التمظهر وهذه الحركية المفعولية هي التي تحدد للجسد الأنثوي موقعية خاصة يحكمها العنف والخوف من الآخر (الرجل) لأن العلاقة بينهما ((علاقة قوية ضعيفة المنطق الذي يحكم الارتباط بينهما هو المنطق المتسلط بالضحية على مستوى لحظة اللقاء بين الجسدين المذكر والمؤنث ....))[1].

كما نجد أن المرأة تقاوم من أجل تأكيد وجودها في إطار مجتمع سلطوي إستبدادي يتعامل معها على أساس ترتيب هرمي, ولا يعتبرها الشريكة المسؤولة, فهو يقاوم هذا الوجود طبقا للجو الفكري والسياسي المشحون بالتآمر والشك والخوف والأناني, إذا ((قلما تكون العلاقة بين الطبيعة الإستبدادية السلطوية وبين الطبيعة البشرية علاقة تكافؤ إنها علاقة خوف وعدم ثقة علاقة مشوبة بالحذر والشك المدمرين للإنسانية الشخصية المسحوقة, أن هذه العلاقة مهمتما زيادة تسوية بيئتنا الطبيعة ....وتفاقم السطحية وافتقاد الحميمية في العلاقات بين الناس....))[2].

ولهذا تتجلى لنا المرأة في صراعات دائمة مع الرجل فيحاول هذا الأخير (الرجل) في كل مرة أن ينكس رأسها ويحاول أن يمرغه في تراب الدنس والقهر فيسلط عليها كل أشكال القهر والإستلاب ويكون على نوعيه الجسدي والفكري, فالرجل يرى بأن المرأة خلق كعنصر مساعد يستغله في الحياة متى احتاج إليها وسمحت له الظروف والفرص, فالمرأة دائما طرف مفعول به أو مفعول فيه.

عالج الروائي – واسيني الأعرج– موضوع الزواج من منظور سلبي فتحدث عن القمع الممارس من طرف الزوج على زوجته وخاصة رجال الدين الذين نجد أن همهم الوحيد هو ذم المرأة في البيت وإلباسها خرقا بالية على وجهها ورأسها وكأنها مجرمة

---

[1] -نبيلة منادى: الخطاب الأنثوي في الجزائر–دراسة سوسيو بنائية–, مرجع سابق، ص47.

[2] -محمد عبد الرحمان يونس: الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة, الانتشار العربي, لندن, بيروت, ص16.

بشكل أبدي وفوق هذا يسيئون معاملتها ويحطون من قيمتها ويجعلونها في مرتبة وضيعة فهم عندما يعودون من أعمالهم ((يلبسون فوقياتهم وبلغتهم القاسية, ثم يتمططون على الأسرة يفتحون الجرائد اليومية ...يطلبون كأس الماء من زوجاتهم والماء موجود على بعد ذراع منهم))[1].

كما حاولت المرأة أن تثبت وجودها بخروجها إلى العمل لكن الاضطهاد ظل يلازمها حتى في الشوارع فلم تسلم من ألسنة الناس ((فالشباب في الطريق لا يعاكسون بلطف ولكنهم يضربون ويشتمون بصوت عال))[2].

فالنساء يمشين في الشوارع لكونهن نساء ويتقون كل أنواع السب والشتم والإهانات فأصبحنا نعيش في بلاد تدفع فيها المرأة الأنثى ثمنا غاليا.

ونظرا لقوة المرأة وجبروتها أصبحت السلطة تهابها لأنها تنافسها في مكانتها الرفيعة ومن هنا نشب الصراع بينهما الذي جسدته أحداث الرواية من خلال " مريم" التي أصيبت في ربيع عمرها برصاصة طائشة أفقدتها كل حيويتها فاضطرت للتأقلم والتعايش معها بقية حياتها وفوق هذا عانت القهر والاضطهاد وسط مجتمع تسلطي إستبدادي يحط من قيمتها ولا يمنحها حقها من الاحترام والتقدير[3].

إن النشاط الجنسي هو بعد مهم من أبعاد الكائن الإنساني, إنه مصدر للحياة العاطفية والنظام النفسي ولاضطرابه, إنه خزان ضخم من الطاقة الخلافة عندما يأخذ شكل الحب المؤنثي, وإذا كان النشاط الجنسي اجتماعي في جوهره فإنه يستتبع وعي ضرورته العلائقية, أي أنه يستطيع جعل العاطفة تنبثق)).

لعل أول اضطهاد طبقي بدأ باضطهاد الرجل للمرأة, وأول الطرق وأفضلها هو محاربة جسدها وانتهاكه, وممارسة ألوان العنف عليه, أي النظر من خلال إغتصاب حمودة كريم الذي كان يظن أنها ليست عذراء ((كنت أظن أنك لست عذراء أعترف أنني أحمق))[4].

---

[1] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص25.

[2] -المصدر نفسه, ص33.

[3] -سمير عبده: المرأة العربية بين التخلف والتحضر, دار الأفاق الجديدة, بيروت, 1980, ط1, ص100.

[4] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص98.

فهذه الأفكار توحي بأنها عبارة عن رواسب قبلية غارقة في التخلف, فمقياس الشرف عند العربي هو غشاء البكارة وعليه فلا حرية للمرأة في جسدها فهو ملك للآخر وليست ملكها أي أنه آلة يستعملها الذكر في رغباته الجنسية فقط, في غياب مطلق للمشاعر والرغبات المشتركة.

ومن خلال الراوية تنبثق العديد من مظاهر العنف الجسدي والفكري ((كان وجهه قد تفحم وقبل أن أنهي حملتي الأخيرة نزل بيدي الثقيلة على خدي الأيسر, تسرت بأصابعه ترتسم الواحد تبع الآخر, رأيت النجم القطبي في وضح النهار, لا بد أن تكون وراء تلك الضربة تراكمات خمسة عشر قرنا, ولا بد أن تكون وراء تلك البداءة مدافن للرغبات المذبوحة ثم أخذني من شعري وضرب رأسي على الحائط))[1]

يتضح لنا من خلال هذا المقطع أن حمودة وبعد أن باءت كل محاولاته بالفشل لإغتصاب مريم بدأ يستخدم معها طرقا أخرى شنيعة وبغضاء فسلط عليها كل أنواع الضرب والتعذيب لكي تستسلم وترضخ له لكنه لم يستطع, فضلت متمسكة برأيها وقراراتها وقالت له إذا كانت البكارة بهذا الثمن فلن أسلمها إلا لمن أحب.

((... حتى الحمار يقوم بنفس الدور وبوظيفته البيولوجية أحسن منك, خليني في حالي, أطلق سراحي وسراحك))[2] وهذا المقطع يوضح مدى استياء مريم ومدى مللها من زوجها الذي أكد لها أكثر من مرة أنه لا يهمه فيها سوى بكارتها ليثبت رجولته للأهل والجيران.

ومن بين الأدوار التي تجلت فيها صورة المرأة في سيدة المقام صورة المرأة لحبيبة ويقصد بها الكاتب في أغلب الأوقات "مريم" باعتبارها بطلة الرواية حيث ركز اهتمامه عليها ((كانت مريم وردة هذه المدينة وحلمها وتفاحة الأشياء المسروقة في لحظة غفلة ورعشة المعشوق وهو يكتشف فجأة خطوط جسد معشوقته))[3].

---

[1] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص94.

[2] -المصدر نفسه, ص96.

[3] -المصدر نفسه, ص7.

فوصف " مريم" بالوردة هو رمز للتفاؤل والسعادة في الحياة, كما أن الكاتب وصف مريم وصف مستوحى من دلالات أسطورية ودينية, فهو يرتبط بالسيدة " مريم العذراء" أم عيسى عليه السلام .

ويربط المرأة بالجسد والعشق مما يدل على أن المرأة الحبيبة عنده أسطورية وهي كذلك رمز للطهر والقداسة ورمز للغائب والحاضر دائما في ذاكرة الرجل الصغير.

((لكن حنين مريم ظل يتبعني, كانت هي المدينة وهي الأشجار هي البيانات وهي الشوق وهي الهواء... هي قطرات المطر البلورية التي كانت تتسرب غلى جسدي هي بحري المتواجد بين شواطئه المهجورة, مريم.. رقصة المجنون الأخيرة, حين تأتي لا تسأل وحين تدخل القلب لا تستأذن مطلقا, تدخل بحذائها الرقيق و ألبستها الفضفاضة))[1].

نفهم من لامه هذا أن مريم كانت كل شيء في حياته, حيث استطاعت بروحها المرحة أن تتسلل إلى قلبه دون استئذان و ووصفه لها بالأشجار والبنايات والمطر والبحر إنما يدل على أنها رمز للخصب والعطاء وقد مثلت مريم الإيجابي في حياة البطل مما جعله برم لها بالمدينة السعيدة, كما أن كل شيء فيها حتى صغائر الأمور تجذبه نحوها وتجعله يشتاق ويحن إليها فهي دائما تعيش في ذاكرته وغيابها عنه ترك فراغا كبيرا في نفسه وأصبح يعاني ظلمات الليالي فكأن الوقت يمر بتثاقل كبير, وقد نجح الكاتب إضافة إلى تصوير المرأة مستعبدة وخائفة ومنكسة الرأس ومنقادة إلى الرجل أن يلتقط لها بعض المشاهد التي كانت فيها على عاداتها التي تطرقنا إلى تحليلها من قبل .

فانعكست الآية وأصبحت المرأة طرفا مطالبا وراغبا وفاعلا في الوقت نفسه.

[1] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص29.

المبحث الثالث: المرأة طرفا فاعل.

تجلت لنا المرأة في صورتها هذه في العديد من المرات وكانت جد واضحة للقارئ ويمكن للعامة اكتشاف هذا المستوى والانتباه إليه, فبعد أن ذاقت بطلة الرواية " مريم" الأمرين من جراء نكران المجتمع ونظرته السلبية للمرأة ومحاولة تسليط كل أنواع القمع والاستبداد عليها من قبل زواجها المستعجل من " حمودة" وبعد ما ذاقته أمها وهي أقرب الناس إليها من جراء زواجها الثاني من عمها " العباس" أخيرا وجدت " مريم" متنفسا لهمومها ومشاكلها وهو بطل حياتها وقلبها كما كانت تسمية " الرجل الصغير" فقد صور الكاتب الكثير من المشاهد الرومانسية التي كانت مريم متجاوبة فيها مع حبيبها ومن اختاره قلبها ((... عندما اقتربت مني كان رأسها منحنيا, مددت يدي إلى خصرها اقتربت أكثر, طاوعت حركتي بهدوء, ثم مدت يدها اليمنى لكي تحوطني, التصقت أكثر...))[1].

ولعل هذا المقطع بين لنا أن المرأة عندما تكون في صحتها أو في الجو الذي تريده وتكون قد توافرت لديها جملة الشروط والوسائل الإجرائية لممارسة الحب أو أي عمل إنساني أخر فهي لن تبخل بذلك بل تكون إيجابية جدا, وبالتالي استطاعت البطلة أن تكسر مبدأ المشاكلة القائم على تلك الرؤية الذكورية النهائية للعالم.

((.... وجدت تحت الباب "أحتاجك أرجوا أن تمر على الصالة أنتظرك اليوم مجنونتك))[2] هاهي مرة أخرى بطلة الرواية "مريم " تؤكد لنا أن المرأة لا تستح دائما في متاهة المفعول وسلبيتها, فتحاول تكسير القيود التي فرضت عليها من قبل الدين والمجتمع فأصبحت تنسج لوحدها خيوطا قصر الفاعلية ولعل هذا المقطع الذي أوردناه قبل, يؤكد لنا مدى صحة ما نقوله فالمرأة هنا ليست متحجبة أو عديمة الحياة ولكنها تحاول رسم حدود كينونتها النفسية داخل المجتمع, وقد تعدد هذا المشهد كثيرا في

---

[1] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص63.

[2] -المصدر نفسه, ص135.

الرواية حين حاول الكاتب في كل مرة أن يسلط الضوء على بعض المشاهد الرومانسية ويقدمها للقارئ في صورة كانت المرأة متدخلة في مناصفة مع الرجل .

((... عندما فتحت عينك, من سحر الغيمة البنفسجية، قلت: جئتك لأنـــي أحبـــك لأني أعشق صمتك وهجرتك داخل مدينة بدأت أن تغادرك أو بدأت تغادرهـــا لا يهـــم المهم أن المسافة تزداد بينكما اتساعا يوم بعد يوم))[1].

فهذا المقطع يبين لنا إعترفات البطلة " مريم " لحبيبها اعتراف جريء وعلـــى قدر جرأته أن يتمكن من قوة صدقه لأن المرأة لا يمكن أن تتحدث عن الحب وتســـبح في قاموس مفرداته إلا إذا كانت تعيشه حقا.

والبطلة تعشق حبيبها وتعشق صمته وهجرانه للمدينة وترى أن هذا الأمر ذلـــك الوقار الذي طالما بحثت عنه وحلمت به فهي بهذا الكلام هنا بصدد البوح والإعتـــراف بخوالج قلبها وذاتها الشاعرة والرومانسية التي أصبحت تعج بالمشـــاعر والأحاســـيس الفياضة التي تحمل كل معاني الحب والحنان لحبيبها الذي وجدت فيه رحابة الصـــدر وحنان القلب نبتت فيها كل آلامها وشكت له كل أحزانها فأصبح مواسيا لها .

((لا... كانت الأشواق تندفع دفعة واحدة مثل الفرح الممزوج بخـــوف مـــزمن انتابتني رغبة في البكاء, أسكت لا تبكي, لست إمرأة و النساء فقط يبكين فـــي بلـــدتنا النساء وحدهن يبكين وهل هي حتمية؟ إنهن بنيات ملهمات أكثر قدرة علـــى ارتكـــاب حماقة الانتهاك والموت مقابل لحظة فرح تقاس بالسنوات الضوئية, هواء لم تكن هزيمة آدم كانت غواية إبليس رضي بالعيش القدسي))[2] وستنتج أن التزم المـــرأة الصـــمت, وبالخضوع للرجل هو شكل من أشكال التهميش وإلغاء المؤنث وتثبيت الصراع بينـــه وبين المذكر, والتقليل من شأنه في هذه الحياة.

ولعلنا لا نجازف إذا قلنا أن هذه المرجعية الدينية كانت من أخطر المسائل التـــي أسست لإستراتجية الصراع بين المذكر والمؤنث وموقعة المرأة في مواقـــع تـــرفض تبنيها.

---

[1] -واسيني الأعرج: سيدة المقام, مصدر سابق, ص136.

[2] -المصدر نفسه, ص138.

وقد حاول هذا المنطق أن يقدم للقارئ رؤية جمالية متميزة تقوم على تكسير تلك النظرة السلبية القاصرة التي إقترنت بمبدأ سلبي الانوثة وإيجابية الذكورة, كما يفضي إلى سقوط ونهاية التصور الجنسي للعالم داخل منظومة الحياة الثقافية والإجتماعية .

وبالتالي فإن كيان المرأة في الأزمنة والأمكنة لا تكتمل إلا إذا أعادت المجتمعات الذكورية النظر في ترسبات الأزمنة الغابرة, والتي مفادها أن المرأة مجرد جسد بل هي ذات بحث عن كينونتها غير أن هذا البحث يعيق الرجل كونه يعيش انتصارا مستمرا يبعده عن المرأة ويمنعه من تحقيق التصالح معها.

لعل أهم إشكال الانعتاق والحرية تتلخص في إنعتاق الجسد والرغبة في التميز وتحقيق إرادة الوجود لأن الجسد لا يمكن أن يكون بنية فيزيولوجية بسيطة بل أنه يشكل بنية معرفية يمكننا من خلالها أن نحدد رؤى الذات والآخر, ذلك أن النظرة إلى الجسد ليست مجرد نظرة فردية تحددها الشروط الفردية وحدها بل هي نظرة امة أيضا تتبناها الحضارة أو الثقافة وتشييعها في الناس بحيث كون للمجتمع ككل نظرة موحدة للجسد بصرف النظر عن اختلاف ظروف الأفراد.

أما فيما يخص الجسد عند "واسيني الأعرج " فلم يقصد تصوير اللحظة الميكانيكية للجنس وإنما أراد تبيان معالم سلطوية الرجل والآلية التي يفكر بها ونزواتها وشذوذ تطلعاتها وتكمن أهمية النص الواضحة في رصده لبعض مظاهر الحياة على المستوى الجنسي والسلطوي المفروض من الرجل.

وقد أتقن "واسيني الأعرج" اللعب بالملفوظات مستعملا الوصف حينا والسرد أحيانا أخرى, وبالتالي كانت طبيعة لغة الرواية إغرائية, ونجده يتمظهر أكثر في لغة الجسد الذي يمثل جانب الإثارة وذلك من خلال وصف الكاتب لمفاتن جسد " مريم" والرواية في نهاية الأمر هي محصلة أشياء عدة متراكبة, تفصح عن أشياء غير مقولة أو الحديث يما همشه العقل ونفاه المنطق إنها حرية المتخيل واللاوعي وإدانة تعبير عنها بالسخرية أو الرعب.

الفصل الثاني:
تمظهر الصراع على المستوى الايديولوجي في سيدة

المبحث الأول:علاقة الايديولوجية بالرواية والأيديولوجية السائدة والمستمرة في سيدة المقام.

المبحث الثاني: تمظهر السلطة الدينية في رواية سيدة المقام ومحاولة فرض ايديولوجيتها.

المبحث الثالث: المفهوم السوسيولوجي والإيديولوجية الثقافية والنفعية.

عرف مصطلح الايديولوجية الكثير من التحليلات والتفسيرات، ووظف من جانب المفكرين والفلاسفة والباحثين في مختلف مجالات المعرفة.

وبالرغم من تداوله وانتشاره الواسع، فقد ظل يتسم بالغموض وعدم الاستقرار في صبغة مفهومة واحدة تحدد وتضبط اطاره المعرفي، وتصنفه ضمن مستوى ثابت.

ان الايديولوجية حسب "ياسبرسYasspirsse" هي فكر نفعي هدفه الجوهري خدمة الغاية المراد بلوغها عبر وسائط تخفي الحقيقة الموضوعية عن الذات المعتقدة بها.

فتفسر من خلالها العالم المحيط بها غير أن هذه الرواية، لا تخضع لمقياس العقل والمنطق، فالإيديولوجية بوصفها تركيبة فكرية تسعى من خلال بنيتها الى اخفاء حقيقتها مصدرة الاحكام التعميمية التي تجعلها بمنأى عن بروز تناقضاتها الداخلية "فهي من حيث كونها مجموعة من الافكار والمعتقدات المتماسكة الى جد ما"[1].

وهذا الحكم على الايديولوجية ينسجم في جانب منه مع النظرة الماركسية الكلاسيكية في تحديدها لماهية الايديولوجية.

أما الايديولوجية كما يراها جاك أوليل "Jaque Ellul" :"مركب من الافكار والمعتقدات ليست افكارا فقط او معتقدات، وإنما معتقدات مرتبطة بنمط من الأفكار وأفكار معذبة لنمط من المعتقدات"[2].

لذلك فالإيديولوجية كل شامل لمنطقية الافكار والمعتقدات والدين حتى وان تضمن مفاهيم مقدسة ومتسامية لا يمكن تجريد من هذه الطبعة، لأنه قد يتحول بدوره الى قناعة او تصور شأن الايديولوجيات الوضعية الاخرى ومع ذلك تذهب بعض التعاريف مذهبا آخر فتجرد الدين من هذه الكفاءة، ولعل هذا التوجه يعود الى جنسيات الخلفية التاريخية لظهور هذا المفهوم.

---

(1) -حليم اليازجي: الايديولوجية ليست نظاما سياسيا، مجلة الفكر العربي، عدد 68، ص 110.

(2)-Olivier Reboul: language et idéologie-presses, universitaires de France, paris 1 édition, 1980, p 20.

المبحث الأول:علاقة الايديولوجية بالرواية والأيديولوجية السائدة والمستمرة في سيدة المقام:

إن البحث في علاقة الايديولوجية بالروايـــة لا يكتســـي طـــابع اثبـــات التـــأثير الايديولوجي في مظهره المباشر، وتمثله الجمالي للنصوص الروائية فحسب، بل يسعى من جهة اخرى الى البحث في جماليات الكتابة الروائية، بوصـــفها ســـياقات اســـلوبية مبتكرة في مراحل تاريخية محددة وبهذا يدور موضوع مبحثي حول هاته القضية.

انطلق في دراسة هذا الفصل من تحديد الاطار المعرفي والنظري الذي أعالج من خلاله الايديولوجية بوصفها نسقا من الافكار المتداولة والمبثوثة في الـــنص والمعبـــر عنها في النص الأدبي والمشخصة في لغة وحدات الرواية، والمكونة للنسق الذي هـــو ضروري لوجود العمل الروائي، سأعتمد على رصد الوحدات الايديولوجية في روايات واسني الأعرج وقد اتخذت من "سيدة المقام" أنموذجا في موضوع دراستي.

فأحاول من خلال هذا الفصل الربط بين الاجزاء الايديولوجية التي تبدوا متباينـــة مظهريا غير أن النواة الاساسية التي تكون نقطة اللقاء هـــي بالضـــرورة واحـــدة، أي بمثابة اشعاع وتلاقي في الوقت نفسه وعلى اساس هـــذه التحـــديات، يمكـــن تحســـس الايديولوجيات المتقاطعة في العمل الروائي والمؤسسة على تصور شامل للعالم الـــذي نعيش فيه وهناك جوانب اخرى قد لا تشملها الايدولوجيا بأحكام، نظرا لانعدام الانسجام والتماسك، في البنية الفكرية للقائلين بها ولكون البعد الشمولي والرؤية الواسعة، مازالت بعيدة عن الشكل، وهاته الجوانب هي ما يمكن ان نسميها انماط الوعي التـــي تتجـــذب تارة لتوجه الايديولوجي وتارة اخرى بنقيضه بشكل البناء السردي لروايـــات "واســـني الأعرج" محاور تجاذب وتنافر لجملة البنى الذهنيـــة المكونـــة للطـــرح الإيـــديولوجي المعروض في شكل مواجهة وحوار بين مواقف متعددة ومن بـــين الانســـاق الفكريـــة المتجانسة في الطرح نجد خطاب ايديولوجية الرفض والمكون لصـــورة موقـــف مـــن الواقع.

وهذا الموقف "الرفض" يؤسس فعله السردي على خصائص نظرية استوعبت دور الفاعلين في النص والبنية الاجتماعية المشخصة سرديا.

ويتميز خطاب الرفض في رواية "سيدة المقام" بحضور يمتد بين نزعة التعبير الجذري والكلي والعمل على الغاء الخطاب المتناقض، وبين نزعة التعبير والتعديل الجزئي المتصالح مع أنماط انتقاديه للواقع وامتداداتها التنظيمية والفكرية وكل العلائق يستر حركيتها واتساق تفاعلها الممكنة بدءا بالعلاقات الاسرية لتصل الى التركيبة الاجتماعية فالتركيبة الفلسفية والعقائدية.

أولا: الايديولوجية السائدة والمنتشرة في رواية "سيدة المقام":

وهي مركبة من افكار ومعتقدات بشكل واسع تعمل على تبرير النظام القائم الذي يساعد على نشرها بمختلف الاجهزة الإيديولوجية السياسية القانونية، الدينية، المدرسية الإعلامية والنقابية العائلية والثقافية والقمعية.

اذ ارتأينا لتوضيح كل جهاز على حده فإننا نجد كل هذه الاجهزة الايديولوجية متواجدة داخل التجربة "الواسينية" وبالضبط في سيدة المقام التي انا بصدد تحليلها دراستها.

ثانيا: الايديولوجية السياسية وسلبيتها في الرواية:

حاضرة بقوة في الرواية وحاولت نشر ايديولوجيتها في الاوساط العامة ومحاولة تطبيقها بشكل اكبر على المرأة وهذا المقطع من الرواية يبرز هذه الايديولوجية "... ان حراس النوايا لا يتدخلون عادة بعنف إلا عند ما يكون الرجل مصحوبا بامرأة او يشمون رائحة الاجساد التي تعيش لحظة عنفوان شائقة من صفاتهم انهم يقرؤون في عينيك ما تفكر به ولا يهم ان كان صحيحا او غير صحيح"[1].

فالإنسان يخضع الى اوامر ونواهي تختلف باختلاف المجسمات فما يسمح به في مجتمع لا يسمح به في مجتمع آخر والعكس صحيح، فقد ذهب "دوركايم" الى ان لكل

[1] - واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 187.

مجتمع أخلاقه وقوانينه وضوابطه الخاصة به التي تسعى الى فرض سلطتها على الأفراد وهذا ما نلمسه في الرواية، حيث جسد لنا الكاتب تردي الاوضاع الاجتماعية وانتشار الجهل والبطالة والجوع والفقر التي أدت كلها إلى تفشي ظاهرة القتل والجريمة "السجون اتسعت والقضاء مثل السوق القاتل والمقتول في ميزان واحد في كفة واحدة والناس يتدافعون بقوة لرؤية المهد لوجوه لم تعد مشرقة واتسخت اللحي والأقدام التي تجر اوساخ الشوارع الخلفية"[1].

فلا بد من ان تكون مهمة القضاء هي تحقيق العدل والمساواة بين فئات المجتمع والحفاظ على حقوقهم، نجده تخلى عن هذه المهمة نهائيا وترك الناس يعيشون في فوضى عارمة افقدت المدينة بريقها وسعادتها حيث ساد الخوف والقلق وأصبحوا لا يحسون بالأمان، حتى ان الشرطة التي وجدت لخدمة وحماية الناس نجدها تتخلى عنه في أحلك الظروف وهذا ما حدث في اضطراب 05 اكتوبر 1988 "ان الشرطة التي تعودت على تطويق المدينة بشكل دائم لم ير لها أثر نسبيا ما كان غامضا ولم يكن مفهوما على الاطلاق وسط كل هذا الفضاء الموجود لا نجد شرطيا واحدا"[2].

ونستنتج من هنا ان السلطة الاجتماعية تجلت بشكل سلبي حيث نجدها تفرض احكامها بطرق تعسفية على الرغم من اننا في حاجة الى الجدل السلمي والحوار الهادئ بالحكمة والموعظة الحسنة... عن قضية الديمقراطية هي قضية اليوم والغد ما في ذلك شك.

والسياسة بالمعنى العام هي المسؤولية الاولى عما يدور في حركة الواقع، وهذا ما يجعلنا نتصور بدقة العلاقة الحميمة بين الشخصية الروائية وبين واقعها الاجتماعي في اطار الوضعية السياسية التي تحاول الرواية رصدها, حيث يبرز لنا الكاتب تفشي ظاهرة الفساد السياسي وسط هذا المجتمع السلطوي "البلدية تسرق سلطة الدائرة

---

[1] - واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 94.

[2] -المصدر نفسه، ص 147.

والولاية تسرق سلطة البلدية دخل شعبان في رمضان ؟ وحياتك هذه علامات الفتنة الكبرى، دافع عن نفسك او تموت مثل الجرو"[1].

ومن هنا نلاحظ أنه لم يعد هناك نظام يحكم هذا البلد حيث ساد شعار "القوي يأكل الضعيف" أي أنهم يخضعون حياة الافراد لقانون الغاب وكأن السياسة وجدت فقط للقهر والقمع وسير المجتمع وفق منظور حكامها "حراس النوايا بدأو يتحولون إلى جيش منظم يتحكم في عنفوان المدينة تعرف ؟ لم اعد اشعر في هذه المدينة بأي امن أبدا بإمكانهم أن يخرجوا من كأس قهوتك المسائية أو من فجوات حيطان حجرة النوم وينصبون مناشفهم ويجهزون النطح"[2].

إن السلطة اصبحت تتدخل في ابسط الامور وتضيق الخناق على المواطن حتى لا تترك له مجالا للتعبير أو حتى الإدلاء بآرائه، ولم يكتف رجال السلطة أن "بنو كلبون" وضعوا كل المقدمات الموضوعية لحراس النوايا، وأعادوا المدينة الى عصور الاضطهاد والبؤس "قبل الاستقلال ذبحوا المثقف على ثقافته واليوم يعيدون عصرهم البائد"[3].

ومن هنا نجد ان البلاد والثقافة يسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان أبدا إذ أنهم راحوا يحلون مشكلة الزلزال الذي ضرب المدينة على حساب الثقافة والفن، حيث أسكنوا المنكوبين في قاعات المسرح وصالات الرقص، كما أن الفنان في هذا البلد عليه أن يموت ليكون بدلا أن يعمق عشقه للحياة.

فقد دافعت بطلة "سيدة المقام" "مريم" عن ايديولوجيتها ومبادئها دفاعا قويا وبينت مساره من خلال رفضها لكل اشكال القهر والعنف والانصياع خاصة بالدرجة الأولى للرجل فقد بينت بطلة الرواية ايديولوجيتها المتناقضة للطرف الآخر في الكثير من

---

[1] -واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 49.

[2] -المصدر نفسه، ص 49.

[3] -المصدر نفسه، ص 138.

المواقف والأحيان حتى صغائر الأمور وقد كانت ايديولوجية المرأة التحررية من قيود الرجل فإننا نجدها تتجلى في مواضيع كثيرة مثل في رفضها للزواج من رجل لا تحبه على عكس المعهود والمعروف السلفي الذي تمثل في قهر المرأة وإرغامها على الزواج من انسان في أغلب الاحيان لا تعرفه.

فبطلت الرواية "مريم" خرجت عن المألوف وكسرت تلك القواعد الرجعية التي نست على والدتها ويتضح ذلك من خلال ذلك الفرق الشاسع بين ما قامت به مريم أثناء طلاقها فهي تصف الخبر "خبر طلاقها من زوجها السعيد: لأنها تجد في هذا الطلاق خلاصا وإن عناقا وخروجا من بوتقة العبودية التي كادت أن تقتل شخصيتها المفخمة بالحياة والمليئة بالحياة والأحلام".

"إذا كان الطلاق يربحك فأنت طالق، شعرت بشيء شبه العذوبة والخوف لم أكن مستعدة للبقاء لحظة واحدة من هذه الأجواء فتحت حقيبتي وبدأت الم اغراضي وألبستي هذا الصباح كنت مصممة على إنهاء هذه المهزلة"[1].

بين لنا هذا المقطع مدى رغبة البطلة في الحرية وإثبات الذات فهي تزوجت تحت ظروف قاهرة آلت لها هي وعائلتها كانت تطلب الاستقرار وتحقيق الذات لكنها لم تجد في زوجها سوى حيوانا مملوءا بالرغبات والمكبوتات التي يريد ان يحققها وبالتالي وجدت في الطلاق فردية ثنائية لتحقيق الذات.

تغلب النظرة في مجتمعاتنا العربية للمرأة على أنها مخلوق شاء يجب أن لا يعامل الأسوياء... الخوف عيب... الضحك عيب... الحديث أمام الرجال عيب... كل شيء هنا عيب، فقيمة المرأة ليس فيما تحسن أو تعمل... ألسنة الناس فيها حسب ما اتفق عليه ميزانه، هذه النتيجة وصلت اليها بطلة الرواية "مريم" جعلتها تعاني من اضطرابات نفسية حادة تولدها شيئا فشيئا تناقضات عميقة بين رؤى الحلم والواقع،

[1] -واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 100.

فأمها تريدها أن تكون امرأة كباقي النسوة غير ان البطلة "مريم" تمقت هذه الصورة من الزواج وترفض أن تكون نسخها لامها التي تعد رمزا للرضوخ والعبودية.

والحل الوحيد في رأيها يكمن في الثورة على وضعها والتمرد على كل الأعراف الاجتماعية وأحكامها على المرأة، والوسيلة الامثل والحل الأنجح، الذي توصلت له "مريم" هو الطلاق من "حمودة" لأنها لا تقوى على التحمل والمواجهة، وهذا الحل رغم ما فيه من انهزام قد يمكنها من الإفلات من قبضة التقاليد والمحظورات التي تعترض سبيلها وتعرقل مسار رؤاها.

فتتاح لها فرصة تحقيق ذاتها كإنسان يحمل هموم طموحاته ويملك منبع توازن ذاته المرتبطة اساسا بحريته واختياره الواعي لمصيره، وبالتالي فقد توصلت "مريم" إلى درجة الاقتناع بأن الرفض هو سبيل الحرية "وأن المرء لو وصل به الأمر إلى أقصى محنة في حياته فانه مع ذلك تبقى له حرية اختيار موقفه"[1].

ترتبط مسألة الايديولوجية بموضوع التفكيك والاختلاف أو بالمسألة الثقافية بوصفها المحصنة الذكورية لأن الغياب يشكل ماهية الآخر "المرأة" وقدره الذي فرضه هؤلاء الذين اصروا أن يكتبوا التاريخ، تاريخ الكتابة وأشكال قراءتها ولعل مصطلح الكتابة الانثوية "يثير لدينا الاضطراب والنفور لأنه يمس مواجع نعجز عن الإفصاح عنها، ومكامن آداء لا نجرؤ على الاعلان عنها ونقاط ضعف تتراكم فوقها المقولات اللفظية، ولأنه قبل ذلك يتطلب منها تحديد التساؤل تعليق المسلمات والبديهات السائدة وهز الثوابت والجوامد"[2].

ففي اللحظة التي يتحول فيها هذا الغياب الذي يشكل ماهية المرأة الى حضور يتم الانتقال من مرحلة تذكير التاريخ إلى مرحلة تأنيثه بإعادة قراءة ايديولوجية المذكر

---

[1] -عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 4، 1980، ص 20.

[2] -الأعرج (نازك): صوت الأنثى، دراسات في الكتابة النسوية العربية، الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، 1997، ص 5.

والمؤنث وما حدث بينهما عبر التاريخ بسب الطبيعة والاقتصاد والدين والمجتمع والثقافة حيث يرتبط تماهي المرأة وحضورها ومحاولة تغيبها بشكل جدلي بالخلفيات السابق ذكرها.

فمن أهم علامات الحضارة التي نعيشها ان معظم المفكرين والعلماء كانوا رجالا وكل الفلاسفة كانوا رجالا "وكل رجال الاديان الذين فسروا الدين كانوا رجالا بمعنى آخر يكون القول بان الافكار التي وصلت الينا هي نتاج الرجال"[1] الأمر الذي جعل الفعل الابستيمولوجي يلعب عليه الطباع الذكوري ومن ثم فالسؤال المطروح هنا، على أي حد يمكن للرجل ان يتملص من نوازعه الذكورية؟.

ولعل الايديولوجية القائمة في هذا السؤال هي نفسها التي تجعل الآخر (الرجل) يتخوف من حضور المرأة في الفضاء الثقافي، لأن حضورها لإيديولوجيتها واعتراف لاختلافها عن السائد واعترف ايضا بإمكانية تفكيك هذا السائد بوصفها التفكيك "اختيار حاسم ونضال وخصومة غير متوقعة"[2].

الايديولوجية القانونية: كانت هي الاخرى تتمظهر بين الفينة والأخرى "... السلطة تتخلى عن كل شيء لفقهاء الظلام بالأساس لا يختلفان في الجوهر، بنو الفيلات، سرقوا الوطن فتحوا حسابات بنكية في البلدان البعيدة، الشمس لا تغطى بالغربال العداوة ازدادت والسلطة لو تغسل بالجافيل لن تستعيد جزءا صغيرا من مصداقيتها ..."[3].

يتضح من خلال هذا المقطع ان الحياة القانونية او النظم العامة في البلاد صارت تسير على رأسها فانقلبت الامور رأسا على عقب وهذا بطبيعة الحال يعرقل مسار حياة الافراد ويجعلهم يعيشون في صراعات لا متناهية وبالتالي كل شيء يفقد معناه.

---

[1] -السعداوي نوال: الرجل والجنس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 3، 1980، ص 11.

[2] -أفاية محمد نور الدين: الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش، افريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص 121.

[3] -واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 138.

المبحث الثاني: تمظهر السلطة الدينية في رواية سيدة المقام ومحاولة فرض ايديولوجيتها:"

تجلت السلطة الدينية بصورة سلبية جدا حيث أن رجال الدين في الرواية يفرضون ارائهم بطريقة تعسفية ومن يقف امامهم او يحاول معارضتهم يقومون بوضع حد له فحكمهم غير قابل للنقاش.

"... من صفات أنهم يقرون في عينيك ما تفكر فيه ولا يهم إن كان صحيحا أو خاطئا المهم أنهم فكروا أنك على خطأ فيجب أن تكون على خطأ دون ثرثرة عندما يفكرونك، وعادة يفعلون ذلك عندما يختلفون معك، عليك أن تقبل لأن أي نقاش سيقودك إلى تعميق الأزمة الحاكم لا يناقش، الحاكم ينفذ أمره ثم تقبل يده البيضاء السخية وتطلب غفرانها"[1].

فهم ينظرون إلى الشخص ويطلقون عليه الأحكام حسب أهوائهم حتى لو كانوا مخطئين فلا مجال للدفاع عن نفسه وهو مجبر على الرضوخ لسلطتهم ويحاولون الاستفادة من بعض احكام القرآن لكي يشغلوا بال الناس ويبعدونهم عن السلطة "في المرة الماضية رأيت التلفزيون فقهاء الظلام القادمين من القاهرة، واليمن والسودان، يتحدثون عن تحريم مختلف اشكال تحديد النسل"[2].

فهؤلاء الفقهاء يحتجون بالولادات ويدعون إلى الانجاب بدون توقف رغم أن البلاد تعاني من الاكتظاظ السكاني حتى أن بعض العائلات لا توجد قوت يومها.

---

[1] -واسني الأعرج: سيدة المقام، المصدر السابق، ص 220.

[2] -المصدر نفسه، ص 38.

ويبدو أن السلطة الدينية هي امتدادا للسلطة السياسية فكما قضى بنو كلبون علـــى الثقافة نجد الأمر نفسه عند حراس النوايا "وحياتك حتى في هذا البلد توجد أشياء رائعة ولكنها تزيف يوميا، المساجد تتعدد بتعدد الأغنياء الصالات الثقافية تقل وتنعـــدم شـــيئا فشيئا، أشعر احيانا بحزن عميق، وأقول الأوصياء الجدد عاجزون عن عشق هذه الحياة والسابقون تركوها للذئب"[1].

فسلبية السلطة الدينية هي التي جعلت سكان المدينة مجرد رغبة وليسوا مواطنين فهم يعيشون تحت وطأة مجتمع استبدادي وتفتقد للقيم والمبادئ الأخلاقية.

[1] - واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 86.

المبحث الثالث: المفهوم السوسيولوجي والإيديولوجية الثقافية والنفعية:

يندرج ضمن هذا المفهوم كل تصور حاول أن يدرس الايديولوجيـــة كحضـــور اجتماعي مسلم به، يسير شبكة الفعل الاجتماعي المتجـــدد فـــي اليـــومي والمعـــايش والمؤسس لنظام يضبط التوجه العام لكل الفئات والطبقـــات الاجتماعيـــة دون تميـــز وينطلق المفهوم السوسيولوجي من البنية في دراسة الايديولوجية كظـــواهر اجتماعيـــة تتحكم في السياسة والأخلاق والوعي الجماعي والنظام الفكري الذي يقدم رؤية للعـــالم تستجيب لتطلعات فئة أو طبقة او مجتمع أو أمة.

إن الباحثين والمهتمين بالعلوم الاجتماعية "ينظرون الى الايديولوجيات على انهـــا وقائع ينبغي دراسة ماضيها ونشأتها وتطورها في محاولة تقنين القوانين التي تحكم في مسارها على اعتبار أن الايديولوجيات هي ظواهر خاضعة للشروط الاجتماعية بمعنى انها مشروطة اجتماعية"[1].

أما إذا أتينا للبحث في حيثيات الايدولوجيا السوسيولوجية في رواية "سيدة المقام" فإننا نجدها في غالبيتها تصب في قالب واحد هو قالب القهر والاستلاب وتسليط لكـــل أنواع القهر والإرهاب الفكري الذي أنهك شخوص الرواية وخصوصا البطلة "مـــريم" باعتبارها الشخصية الرئيسية، فلقد عانت هاته الأخيرة من سلبية المجتمع وإيديولوجيته المشحونة بالمطاردة واللعنة للمدينة... إني "أراهم... يقفون على أطـــراف الشـــوارع

[1] -آفاية محمد نور الدين: الهوية والإختلاف في المرأة، الكتابة والهامش، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1988، ص 121.

والطرقات بألبستهم الفضفاضة عيونهم حمراء مليئة بالعدوانية ينظرون الـــى الغـــادي والرائح..."[1].

فالمجتمع إذن أصبح يشكل عقبة أمام الحياة العادية للفرد ويحاول دائما تضـــييق الخناق على المرأة من خلال متابعتها وكذلك إمطارها بوابل من الشتائم والسبب متـــى وقعت أعينهم عليها "... المساجد لا تتذكر كاتب ياسين إلا لشتمه، ولا تتذكر الجمعيات النسائية إلا لمزيد من التهم الاخلاقية... كل شيء يباد بهدوء وطمأنينة تقرأ في العيون الكلمات التي صارت من عادات المدينة silence! En lue"[2].

أولا: ايديولوجية الثقافة:

تتجسد لنا في جهود المرأة وإصرارها على الوصول لتحقيق مبتغاها وهـــذا مـــا نجده عند "مريم" التي أصرت على تأدية رقصة شهرة زاد بالرغم من الرصاصة التي سكنت دماغها والعراقيل التي واجهتها في صراعات مع السلطة، وتتجلى لنـــا أيضـــا "ايديولوجية الثقافة" من خلال "أنطوليا" تلك الاجنبية التي لم تكن مجرد اســـتاذة فقـــط بالنسبة لمريم بل منحتها الكثير من الحب والحنان وساعدتها في العديد من أمور الحياة الأخرى قدمت إلى البلاد مفحمة بالحيوية والنشاط عازمة على تحقيق عازمة إلى مـــا تصبو إليه من أحلام وطموحات "... تصور أنطوليا قطعت الجبال والمداشر من أجـــل تتبع خطوات حياة فاطمة آية عميروش سألت الوديان والوهاد عن اصدقائها المشـــايخ الذين يرون سيرتها وعنفوانها ثم عادت إلى الصالة، وهي مليئة بها في هـــذه المـــرة بالجنون بالموسيقى، ولغة إيقروبونش وفاطمة، نسي غربه، ثم عثرت على هذا الرجل المدهش؟... قليلون هم الذين يعرفون باقربوشابن بن تنامنغون..."[3].

---

[1] -واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 39.

[2] -واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 55.

[3] -المصدر نفسه، ص 55.

ومن هنا لنا مثابرة أنطوليا وإصرارها على أداء عملها بأكمل وجه، حتى رحلت إلى بلاد القبائل وسعت إلى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات لتأليف سيمفونيتها حول بقروبشن وفاطمة وعميروش.

وفعلا تم تقديم عرض البربرية ولقي نجاحا كبيرا ولكن سرعان ما انقلبت الأوضاع في البلاد وأغلقت صالة الرقص وطردت أنطوليا تجر معها خيبة كبيرة "تعبت كثيرا سرقوا منها كل الأحلام التي جاءت من أجلها إلى هذه البلاد انبذ لت حتى صارت أصغر من بعوضة عمياء"[1].

"بالنسبة للمرأة فانه ستعيد مفهوم "لينين" عن طبيعتها في النصوص الأدبية من حيث هي مفهوم، يفيد في تحديد علاقة النص الروائي بالبيئة الاجتماعية والإيديولوجية"[2].

وحسب رأيه "لينين" فإن المرأة في الأدب تملك خاصية لا تقف عند حدود العكس الآلي للصور والمشاهد بل تتعلق بعملية اختيار انتقائي في الواقع التاريخي وهذا لاختيار لا يترك شيئا للصدفة، فالكاتب بتصوره الايديولوجي الخاص، يسعى لنقل مظاهر ومواقف دون اخرى ويتعرض لقيم وسلوكيات وأخلاقيات دون غيرها وبذلك تكون علاقة النص بالواقع الذي ترصده علاقة موجهة وجزئية ولا ترسم على مرآة النص عناصر الواقع الخارجي، غير أن هذا الغياب المقصود احيانا من قبل الكاتب، والذي يشكل ثغرات في النص أو مقاطع غير حاكمة ومظلمة في مرآته يمكنها أن تكون بمثابة مؤشرات وهو سكوت عنه قدر يكشف ما هو خفي، أما بالنسبة لمفهوم التناقض الايديولوجي في النص فإن "ماتري" بعده ضروريا وعنصرا أساسيا وشرطا لاغنى عنه لوجود النص وكينونته.

---

[1] -واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 190.

[2] -عمر عيلان: الرواية الإيديولوجية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الادب العربي، 1996-1995، جامعة قسنطينة، ص 35.

فالرواية تحمل مشروعا ايديولوجيا لا يمكن تشكيله فنيا إلا بربطه بالواقع الاجتماعي ولكون المجتمع لا يشتمل على تصور واحد، فإن للنص الروائي مطالب تجسد التناقضات والاختلافات الايديولوجية التي قد لا تتفق بالضرورة مع مضمونه النهائي، فالإيديولوجيات حين دخولها في البناء الروائي تتصارع فيما بينها قيمة واقعية.

ثانيا: الايديولوجية النفعية

هي المرتكزات المحورية، الموجهة لملامح اي ايديولوجية تظهر بأنشطة متباينة فلا تبدوا في كل رواية بنفس التوجه والدرجة والأسلوب والوضوح والتكامل بل تبرز في صيغ متعددة ضمن النصوص الروائية غير أنها مستندة في تأثيرها الى خلفية نظرية واحدة هي المنفعية وطريقة تشخيص الايديولوجية النفعية، وتخترق الايديولوجية النفعية في روايات واسني الأعرج، عدة مستويات تمتد من البنية الاجتماعية وعلاقتها المتعددة إلى التطورات الفكرية والنظرية، والقناعات السياسية، شاملة بذلك جميع أوجه النشاط الانساني في الحياة رافعة مصالحها المقدسة التي لا ينبغي المساس بها أو الحد من نموها، منطلقة من جملة مكونات مركزية كالأنانية ورفض التعبير والمراوغة والسعي المبتذل لخدمة المصلحة الفردية، بصرف النظر عن الأساليب الموظفة، وهنا تبرز الرغبة الجامعة في السيطرة والتحكم في ميكانيزمات الفعل الاجتماعي وتسخيره لبرامجها وطموحاتها من خلال تعدد مواقع حضورها سواء في بيئة الريف أو المدينة، فإن الايديولوجية النفعية تتبع منهجية الاقصاء المتواصل الذي يبدأ من أبسط مظاهر الحياة المادية ليصل إلى طرح البديل الفكري والثقافي، وإذا كانت هذه هي حقيقة كل ايديولوجية وهدفها وعلة وجودها فإن ميزة الايديولوجية النفعية في روايات "واسني الأعرج تتمثل في كونها تتموقع في خانات خاصة استفادت فيها من استمراريتها التاريخية والموزعة عبر كامل الرواية.

إن الاتجاه النفعي يمكن أن يشمل مختلف الطبقات الاجتماعية ويتصل بالدرجة الأولى بالنزاعات الفردية التي تتبلور في سياق المصالح والأنانية كما يقترب من النزعة المحافظة وبالتالي فالإيديولوجية النفعية تشمل كل القيم والممارسات والأفكار المتصلة بالنزعة الفردية والأنانية.

ومما أثار انتباهي في هذا المبحث إن "واسني الأعرج يلمح بل ويؤكد أن السلطة الدينية هي سلطة سلبية فقد أعطى الإسلام لكل ذي حق حقه فهو دين مسامحة وليس دين تعسف وبحث على المساواة والاحترام المتبادل، فالإسلام لا يرغم أحد على شيء فقد أعطى لكل شخص حرية الرأي والتعبير، أما فيما يتعلق بالحث على الأولاد ومنع تحديد النسل فهذا الأمر لا يتعلق بالظروف التي تعيشها المدينة، فكما يقال كل مولود يولد ويكتب معه رزقه، فتحديد النسل يقضي على شجرة الأسرة والتكاثر، هذا كان من حيث الجانب الديني أما من الناحية الإبداعية والفنية فلا نقاش في هذا فقد أجاد واسني وأبدع.

الفصل الثالث:
الصراع القيمي

المبحث الأول: القيم الاجتماعية.

المبحث الثاني: القيم الثقافية.

المبحث الثالث: القيم الفنية.

المبحث الرابع: القيم الأخلاقية والإنسانية.

حفلت التجربة الوسينية بالكثير من القيم التي تصارعت في بعض المناحي وانسجمت مع بعضها بعضا في مناحي اخرى وقد اصطبغت القيم في رواية سيدة التي نحن بصدد دراستها بالامتزاج بين ما هو سلبي وما هو إيجابي فمازالت القيم في هذه الرواية متضاربة ومتوافقة في الوقت نفسه.

وبما أن الشخوص الروائية في العمود الفقري للرواية فان هاته القيم كانت ممثلة من طرفهم حتى كانت كل شخصية تحمل جملة من القناعات والمبادئ التي تدافع عنها.

وبما أن موضوع بحثي هو تبيان مواطن الصراع بين قطبي الذكورة والأنوثة فإنني وجدت في رواية سيدة المقام الصراع متجليا في مستويات عديدة كالجنس الذي خصصت له الفصل الاول والإيديولوجية التي خصصت لها الفصل الثاني، وها أنا في هذا الفصل أحاول أن أضع ملخصا للفصل الثالث الذي يخص القيم.

فمن خلال الفصلين السابقين لاحظت ان نظرة المرأة للجنس وللجسد تختلف عنها عند الرجل وكذلك الايديولوجية عند المرأة ليست هي ذاتها عند الرجل وبالتالي فهذان القطبان كل منهما يشكل رؤية معينة وخاصة للواقع وقد تجلى هذا دائما أثناء تحليلنا للعمل الروائي: "سيدة المقام".

"وإذا كانت القيم تستمد قوتها من الماضي ومن اعتبارات نقلية ويصبح أتباعها سمة من سمات الانتماء إلى الجماعة فإنها لا تتعرض للفحص العلمي وإعادة النظر"[1].

[1] - سعيد (خالدة): المرأة–التحرر، الإيداع نشر الفنك، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1999، ص 56.

المبحث الأول: القيم الاجتماعية.

تمظهرت القيم الاجتماعية في رواية "سيدة المقام" بصورة كبيرة وكانت في معظمها تتبناها بطلة الرواية "مريم" والتي اظهرت هذه القيم بألوان مختلفة انطلاقا من الأسرة باعتبارها مجتمعا مصغرا تم انتقاله الى الشارع الجزائري وما يحمله من تناقضات إضافة إلى علاقتها مع باقي أشخاص الرواية.

فقد بدت البطلة في أكثر من موقف ساخطة على المجتمع ومستنكرة كما يجري فيه.

"... أشعر بأني بلا وطن على الطلاق، وعندما خرج مع الفرقة خارج البلاد ينتابني حزن عميق جدا احس به يتحول إلى ديدان حمراء وصفراء وسوداء وخضراء أشعر بأننا نملك الكثير من الاوهام والأحلام في وطن يحرمني من حق الوجود، المرأة في القانون نصف الإنسان..."[1].

تبدو لي البطلة من خلال هذا المقطع انها متذمرة من وضعها الاجتماعي والاقتصادي وأنها مجرد كائن معزول أعزل عاجز ليس بمقدوره سوى الرضوخ للسلطة الاجتماعية، لاسيما وان مصلحة الفرد تحتل موقعا ادنى من مصلحة الجماعة عند نشوء النزاعات داخلها، بحيث تكون الغلبة لمعايير الجماعة ومصالحها أيا كان طابعها لانتهاء الصراع بين الفرد والجماعة.

ولعل إحساس البطلة يسود انتمائها الأسري لم يكن صادرا من وعيها، أو بمعنى آخر من توقعها الذي كان بمثابة هاجس وسواسي صبغ بنائها النفسي بصبغة الحذر من الاخرين والتمسك في نواياهم والتباعد الاجتماعي عنهم حماية لذاتها من الشعور بالإثم لكونها لا تصدر في تعاملها معهم من ذاته كشخصية فردية مستقلة بل من ذاتها كشخصية منتمية لأسرتها مما يدل على وعيها ببعدها الاجتماعي كأحد المكونات البارزة في شخصيتها.

---

[1] واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 21.

وقد حاول الروائي أن يقدم لنا بعض القيم والثوابت التي هي على قدر كبير من الدقة والحساسية وذلك حسب موقعية المرأة أو الأنثى في المجتمع والفضاء السياسي وإشكالية في ارتباطه بمسألة الطبيعة والخطيئة.

وتتداخل هذه القيم والثوابت في النص بإيديولوجية التحرر، لتنسج ايقاع الرغبة في تفكيك مختلف الرواسب في تدمير الذات، ايضا بوصفها جنسيا مؤنثا محكوما بهذه الجملة الحضارية.

ولا يمكن أن نقرأ الرواية بمعزل عن السياق التاريخي والسياسي المنتجة في ظله حيث نجد ان الكاتب هنا ربط روايته بجملة من السياقات الاجتماعية والتي نجملها في تلك النظرة السوداوية التي كان ينظر منها المجتمع للمرأة حيث كانت البطلة تعاني كل انواع القهر والطمس، من خلال حياتها الزوجية التي لم تعمر طويلا وكذلك في علاقتها الاجتماعية، فقد كانت تكره المجتمع الذي تعيش فيه وتسخط عليه ولا تروي فيه ما تستحق العيش على أديم الأرض سوى امها وصديقتها "أنطوليا" والرجل الصغير إضافة إلى تلك الظروف الاجتماعية المكرهة التي كانت تعيشها البطلة هنالك جملة من الظروف السياسية التي كانت مسيطرة اذاك على البلاد وهي التي ما كان يسميها الروائي بحراس النوايا، "الذين خلفوا بنو كلبون" في الحكم فعاشوا في البلاد فسادا وكان من سوء حظ البطلة أنها أصيبت برأسها، كانت قدرها المحتوم في يوم مشؤوم يوم الخامس من أكتوبر 1988، فقدت المدينة بريقها حيث بدأ حراس النوايا يزيحون السلطة وينتشرون في البلاد مثل رياح الجنوب الساخنة، فهم لا يأتون إلا إذا أرادوا أن يدفعوا الناس إلى الموت ببطء قضوا على البلاد وقادوها للخراب.

المبحث الثاني: القيم الثقافية.

تختلف ثقافة الرجل عن ثقافة المرأة طبعا فقيم المذكر الثقافية ليست هي ذاتها قيم المؤنث ولعل هذا الاختلاف ليس مرده اختلاف المنهل الثقافي بقدر ما هو قدرة التحصيل وآفاق التحكم في الرصيد الثقافي المتحصل عليه.

والثقافة عموما لا نجدها محصورة بين المؤسسات التعليمية والأكاديمية فحسب بل هي منتشرة وعلى المثقف أن يجمعها ويرصدها من محطات أخرى، وهذا ما نجده يتجلى عند بطلة الرواية "مريم" حيث عند قراءتنا للرواية نجد أن البطلة على قدر كبير من الثقافة لكن ليس هناك ما يجبرنا به الكاتب عن مراحل تعليمها الابتدائي أو الثانوي أو الجامعي، ولكنها تعلمت من ثقافة الرقص لبعض الأعمال التي قرأتها وأعجبت بها وقد كان لأنطوليا دورا بارزا في تكوين الجانب الثقافي "لمريم".

"... كانت أنطوليا الروسية جارتنا كانت جديدة على البلاد، مصادفة الأعراس هي التي عرفتني بها، طلبت مني الانخراط في بالية سيدي بلعباس الذي كانت قد أنشأته..."[1].

وكانت "أنطوليا" من أقرب الناس لمريم وأكثرهم ايجابا في تعاملها معها حيث حاولت تغيير مسار حياتها للأحسن.

"... كنت أمضي وقتا في الرياضة وفي تعلم البالية قالت لي ذات مرة إذا تحسنت أكثر سأآخذك معي إلى موسكو تخرجني معها إلى الغابة وإلى حفلات أصدقائها القليلين في الدراسة الوقت الذي أقضيه بين بيتها وصالة الباليه يتجاوز الوقت الذي أقضيه في بيتنا ..."[2].

فقد أصرت عليها وسجلتها في مدرسة محاذية لبيتها وكانت عندما تمرض هي التي تأخذها في سيارتها الخاصة.

---

[1] - واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 79.

[2] - المصدر نفسه، ص 90.

فقد ركزت البطلة "مريم" اهتمامها على الثقافة ولم تكن تعني بغيرها وكان الرقص والباليه أهم شيء في حياتها.

"... والرقص صار دودة خضراء في رأسي، عندما تقاضت أمي راتب الشهيد قبل أن يتوقف ثم يعادلها من جديد اشتريت مسجلة وبعض الاشرطة الموسيقية التي نصحتني بها أنطوليا... كانت سيدي بلعباس في ذلك الزمن الذي صار بعيدا، مدهشة بناسها الطيبين بعشقها ومجانينها وعقاليها وشدة ولعهم بالرقص والغناء والأعراس والأفراح والماوسم... باريس الصغيرة..."[1].

يبدو من خلال هذا المقطع ان البطلة مولعة بالرقص وتخصص له جزءا كثيرا من وقتها كما أن أهل الحي التي كانت تقطن به كانوا على نفس العشق والمحبة قبل أن يأتي حراس النوايا ويقتلوا تلك الفرحة وذلك العشق والحب للحياة.

كما أشار الكاتب في الرواية إلى أن البطلة على درجة من الثقافة والإطلاع الواسع على الكتب "... لم آخذ شيئا مهما، سوى كتاب دون ليتسوق الذي يدلي لسانه الأحمر ويسخر مني اياخي مجنونة؟ ثم رواية مدام بوفاي التي كانت تتأملني وأنا اعبر المكتبة...، يعييني... ملحمة الخرافيين... وصورة حائط كبيرة للراقصة "إيكا ترنامسا كسيموفا" أهديت لي في موسكو عندما سافرت مع أنطوليا لأول مرة ضمن عرض الفرقة..."[2].

تشكل المسألة الثقافية محطة أخرى في تحديد طبيعة العلاقة بين الذكر والمؤنث لكونها إحدى الاستراتيجيات الهامة في بناء الايدولوجيا، وفي تحديد وجهات النظر إلى المسألة من زاوية الحديث عن الطبيعة والثقافة حديث ما عن هو كائن وعما يجب أن يكون أو ما هو بداعي مكتسب، وقد ارتبطت الطبيعة بالمرأة وارتبطت الثقافة بالرجل فكان الرجل مكيف الطبيعة ومسخرها لصالحه، وظلت المرأة جزءا من هذه الطبيعة

---

[1] -واسني الأعرج: سيدة المقام، مصدر سابق، ص 79.

[2] - المصدر نفسه، ص 100.

فكانت دوما على الهيئة التي أرادها الرجل وارتضاها لها لأن الثقافة تؤكد حضـــورها على أساس تفوقها وتميزها على الطبيعة، ومن ثم تسيطر عليها من أجله مصلحتها وقد سعى الرجل منذ زمن بعيد الى تكييف الطبيعة عن طريق المعرفة والعلـــوم، والعمـــل الفيزيولوجي، أيضا وأن كانت المرأة حاضرة معه في هذه العملية، فإن حضورها يعد واصيا بالنظر إلى حضوره ومن ثم "ففي حالة اعتبار النساء جزءا من الطبيعة فـــان الثقافة تبعا لذلك في اخضاعهن ناهيك عن اصطيادهن أمرا ضروريا..."[1].

ويتضح من خلال طبيعة العلاقة بين الثقافة والطبيعة أن من يكتلك الثقافة ويمتلك الطبيعة ومن ثم فامتلاك الرجل للثقافة وارتباطه بها مكنه من امتلاك الطبيعة والمـــرأة أيضا بوصفها جزءا من هذه الطبيعة.

ولعل هذه المسألة ترتبط بشكل جدلي مع مسألة الاقتصاد، ذلك ان المرأة ضيعت هذا المعطى الثقافي ترجعها اقتصاديا وقيام الرجل بهذه المهمة بدلا منها، ومن ثم سيادة النظام الأبوي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

إن اقصاء العنصر الأنثوي من الفضاء المعرفي لا يتقدم الصراع فيها بين الرجل والمرأة بشكل مطلق وفي كل الأحوال ذلك أن هناك كثيرا من الرجـــال مـــن أســـس لحضور الأنثى في جميع الفضاءات الثقافية والاجتماعية والسياسية، والصـــراع فـــي الحقيقة هو صراع الرجل والمرأة ضد أشكال التخلف الحضاري والثقافي، وضد أزمنة مختلفة من الانحطاط واللاوعي بحقيقة الصيرورة الحضارية.

وبالتالي لم تكن في هذه الرواية البحث عن محطة عداء ثقافي بين ما هو مؤنـــث وما هو مذكر، بقدر ما كان خطابه محاولة للبحث عن فضاء لتأنية الثقافـــة والمعرفـــة وإيجاد لقاء ثقافي حواري بينا للمرأة والرجل وبالتالي يتحول الصراع الطبقي الثقـــافي

[1] -علي الربيعو (تركي): العنف الجنسي في الميتولوجيا الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 2، سنة 1995، ص 164.

إلى وئام غايته تكسير الطبقة الثقافية والمجتمعية وتحويل مسار هذه الحركة من موقع السيطرة والإلغاء الى موقع التكافؤ.

وذلك من خلال اعتماده تقديم المرأة في جل الافعال وردودها، ويعد هذا الاختيار شكل من اشكال كتابة الوعي بموقعية المرأة الثقافية بلسان الرجل، وبوجهة نظر مختلفة تؤسس للحضور الأنثوي ضمن الفضاء المعرفي والإيديولوجي.

وقد كان توظيف المرأة في الرواية ذا أبعاد سياسية اجتماعية وفكرية تلمسها من خلال علاقة المرأة بالمجتمع خاصة الرجل الصغير وبالتالي حققت تلك الصورة الرومانسية الحالمة وقد ربط الكاتب تلك المواقف الرومانسية بالبحر وجسد لنا الكاتب اضطهاد البطلة من حال البيت التي عانت فيه "مريم" أنواع الاضطهاد والتسلط.

كما ربط الزمن التاريخي بالسلطة لما يسرده من وقائع وأحداث تاريخية، يتجسد حضور السلطة السياسية أو العنف السياسي الذي يمارسه ضد أشكال الاختلاف والتعارض، وقد اعتمد في ذلك على السلطة الدينية ووضح محاولاتها اللاواعية واللاممنهجة للحفاظ على السائد وإبقائه في المركز.

يتبين لنا أن السلطة السياسية والدينية على النسق الحضاري الذي تنتميان إليه والذي يبدوا من خلال هذا النص مدينا ورافضا لوضع المثقفة المتحررة، بحجة الخطيئة الأولى التي تعتبر نصا مقدسا في مجتمع يصر على ابقائه لخدمة مصالحه "فبنوا كلبون وحراس النوايا قد تصرفوا دوما بحسب مقتضيات السلطة واعتبروا خضوع المرأة قانونا الهيا أزليا وثابتا لا يتغير..."[1].

[1] -السعداوي نوال: عن المرأة، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1993، ص 7.

ويعد هذا الارتباط بين السلطة والأنثى تأكيد هذه البنى الفكرية الذكورية في الذاكرة الجماعية إذ أن "البنى الفكرية الاولية للذاكرة الجماعية الشعبية واللاوعي بالوجود منها هي وليدة ما هو موضوع من حركة النسق الحضاري التي تنتمي إليه[1].

كما أنه لا يكفي المرأة أن تنظم إلى المعارك التحررية والسياسية لكي تحصل على تحول في وضعها نحو الأحسن.

[1] -سعيد خالدة: المرأة، التحرر والإبداع، نشر الفتك، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1999، ص 11.

المبحث الثالث: القيم الفنية:

تتلخص هذه الأخيرة في خصائص أسلوب الكاتب والمرتكزات التي ارتكز عليها الروائي في بناء عمله الروائي.

ويعتبر الجسد في هذا العمل الفني ركيزة من أكثر ركائزها الفنية والجمالية تعبيرا عن تشكيلاتها الدلالية، وتأسيسا لشعرية الخطاب، فحضور الجسد، يتحول الى طقس احتفالي مخضب بعرق الافراح المتبعة وأحلام الطفولة المتبعة في مواجهة ذاكرة النسيان والعنف المسلطين على كل ما هو جميل في الحياة، فالبحث في تفاصيل الاشياء الغامضة في المرأة لبناء شعرية الجسد، في النص الروائي، هو نفسه البحث عن هويتنا الانسانية والثقافية والحضارية الملفوفة في جيوب النسيان، وإعادة اكتشاف قدرتنا المنسية والمغيبة في الفعل والتعبير، فعل الحب وزرع بذرته لاستمرار الأحلام والثقافات الانسانية ضد أشكال العجز والتنوه، لتأسيس مملكة الجمال والطهارة والحب، العطاء المتبادل، التواصل الناجح.

كما استطاع الكاتب من خلال هذه الرواية أن يخفي عن طريق اللغة الجنسية المقموع السياسي، والاضطهاد الفكري، وتسير اللغة السياسية وتتقاطع مع اللغة الجنسية داخل الرواية حيث تقول احداهما الاخرى وتخفيها وتبدوا حركتها هذه صراعا بين الموت والحياة، بين القبول والرفض بين القمع والتحرر، فاستعار فضاء اللغة الجنسية، لغة الجسد، ليس جديدا على أساليب الخطاب الأدبي فقد كان الجسد محورا فنيا للكثير من القصص والروايات، وقد استمرت سيدة المقام تلك الاجواء المتعلقة بالجسد لتوظفها في صياغة ما سميناه شعرية الجسد، ضمن السياق الدلالي العام للخطاب الأدبي.

المبحث الرابع: القيم الاخلاقية والإنسانية.

تجلت القيم الاخلاقية والقيم الانسانية في رواية "سيدة المقام" في مواطن عديدة من الرواية وأهمها القيم الانسانية وتكاد تكون صورة الام في الرواية من أهم الصور الايجابية عن المرأة، وقد تمثلت في أم مريم، تلك المرأة التي ضحت من أجل سعادة ابنتها وحاولت قدر المستطاع ان توفر لها كل ما تحتاجه من اشياء مادية ومعنوية، ومن الأشياء المادية لها تقول مريم "عندما تقاضت أمي راتب الشهيد قبل أن يوقف ثم يعود من جديد اشتريت مسجلة وبعض الاشرطة الموسيقية التي نصحتني بها أنطوليا" ونظرا لطبيعة الأم الانسانية التي تتسم بالعطاء الدائم دون انتظار المقابل فعندما علمت أنها ستتقاضى منحة الشهيد فإن أول شيء فكرت فيه أن تشتري سيارة لها "خير ربنا كبير يقولون أنهم سيعطوننا منحة الشهيد كبيرة اذ جاءت هي لك اشتري بها سيارة إذا جابوا تتهناي من وهيص السيارة والكار".

وفي الكثير من المواقف عندما يتعلق الأمر بمريم ومن يزعجها تثور لأمها كاللبؤة التي تبرز مخالبها وقت الشعور بالخطر يحوم حول صغارها.

كما تتضح القيم الانسانية من خلال محبة أنطوليا لمريم وعطفها عليها ومنحها الكثير من الحب والحنان لمريم وساعدتها في العديد من امور حياتها.

إن حرمان مريم لحنان الأبوة فيها نوع من الحاجة إلى هذا الحب والحنان فأخذت تبحث عنه في الرجل الصغير فكان من عوضها هذا النقص وبالتالي زرع فيها الحب وعلمتها معناه وكان لها نعم الصديق والحبيب والرفيق فمحبته بارزة لها علمتها محبة خلق الله، وقد كانت أنطوليا والرجل الصغير نقطة تحول بارزة في تغير مسار بطلة الرواية "مريم".

خاتمة

خاتمة:

بعد هذا الجهد الذي أرجو أنه حقق المبتغى، ونحن في هذا المقام لا يسعنا إلى القول الحمد لله رب العالمين، الذي أعاننا على إنجاز هذا البحث، المتواضع الذي نأمل أن يجد فيه القارئ شيئا من ضالة في يوم من الأيام حتى يتصفح وريقاته .

هذا البحث الذي تناولت فيه الرواية الجزائرية، وهي رواية سيدة المقام لصاحبها واسيني الأعرج، وهذا كي لا يبقى أدبنا مهمشا ولا يجد من يقرأه أو يلتفت إليه حتى، فهو ودون شك لا يقل عن الآداب الأخرى .

- فقد استطاع الأدباء الجزائريون التعبير عن معاناتهم ومعاناة شعبهم آلامهم وبأرقى، ما لديهم من أساليب وفنيات واستطاعوا من خلال هذا التخليد لأدبهم .
- فواسيني الأعرج في روايته هذه استطاع أن يوقف صورة المرأة وتحولاته الفكرية والثقافية وصراعها مع الطرف الآخر (الرجل) في الجزائر .

إن جملة النتائج التي توصلت إليها في بحثي المتواضع هذا لا تعد قطيعة ولا نهائية وإنما تعتبر صحيحة إلى الحد الذي يجعلنا نطمئن إليها بعد أن تدعمت بحجج أعتقد أنها مقنعة، ذالك أنه من الصعب أن يجزم المرء بصحة النتائج التي توصل إليها خصوصا إذا كان البحث في مجال الأدب، لأنها بلا شك ستكون محل تساؤلات جديدة .

وخلاصة بحثي أجملها في النتائج التالية:

- إن تأخر الرواية الجزائرية راجع إلى الاستعمار الذي أراد لهذا البلد والانسلاخ من عروبية، وثقافته، وكان يفرض طوقًا من الحصار، على الذين يكتبون باللغة العربية.
- اختلاف الآراء ووجهات النظر حول موضوع علاقة الرجل بالمرأة والصراع القائم بينهم.
- إن المرأة حظيت باهتمام الكثير من الكتاب، والأدباء الجزائريين على وجه الخصوص، فمنهم من جسدها في صورة الأرض لأنها رمز الخصب والعطاء ومنهم من جسدها في السلطة وذالك من خلال المكانة التي صارت تتبؤها في المجتمع، ومن

خلال المناصب السياسية التي أصبحت تحتكرها والمشكلات الإيديولوجيـــة والأدبيـــة، وذالك لزخم الواقع وقضاياه، وتعقد مشكلاته الاجتماعية والفكرية وذالك بعد نزعـــات التحرر التي شهدها الوطن العربي فأصبحت المرأة العربية كنضـــيراتها فـــي الـــبلاد الأوربية.

•من خلال الدراسة لمواطن الصراع بين الرجل والمرأة، إتضح لنا أن الصـــراع بينهما كان على عدة مستويات.

•في رواية "سيدة المقام" لـــ"واسيني الأعرج" نجده يجسد صورة حيـــة للواقـــع الاجتماعي الذي تعيشه المرأة في الجزائر في تلك الفترة .

•إن حرص لـــ"واسيني الأعرج" على الوصف الدقيق لحالة المرأة في الروايـــة يهدف إلى بناء عمل جمالي على نحو موضوعي وإبداعي مبتكر.

•يقوم الوصف غالبا على منح أبعاد جمالية وشكلية للشيء الموصوف، وذالك من أجل أن يتخذ شكلا أروعا وصورة أبدع في ذهن المتلقي.

•نجد تزاوج بين المرأة والسلطة لإشتراكهما في عناصر عديدة (كحـــب التملـــك الإغراء والجمال، الانبهار).

•كما نستشف من خلال الرواية أن حض المرأة تجلى بأبعـــاد مختلفـــة، جماليـــة اجتماعية وسياسية.

•دعا الكاتب من خلال روايته إلى ضرورة إعادة النظر في العلاقات الاجتماعية القائمة على الزواج التقليدي، الذي يكون فيه الرجل سيدًا والمرأة عبدًا يشتريه أو دمية مسلوبة الإرادة.

•تحدث الكاتب عن غياب لغة الحوار الممنهج بين القادة السياسين وأفراد المجتمع إن هذه الدراسة كما نتائجها أيضًا لا تمثل سوى اجتهاد شخصي، ومع ذالك يكفيني أني قد حاولت قدر المستطاع الوصول إلى خاتمة البحث وقد سعيت أن تخلو من الأخطـــاء

خاتمة:

هي والبحث فإن وجدت بعض الأخطاء فذالك شأن البشر جميعًا ويبقى الكمال لله وحده .

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

❖ **المصادر:**

1.واسيني الأعرج: سيدة المقام، منشورات الفضاء الحر، ط1، الجزائر،2001.

❖ **المراجع:**

2. أحمد دوغان: شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين، الجزائر، 1989.

3. إدريس بوذينة: الرؤية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعية، قسنطينة 2001.

4.الأعرج (نازك): صوت الأنثى، دراسات في الكتابة النسوية العربية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، 1997.

5. أفاية محمد نور الدين: الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش، افريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، 1988.

6. بامية عايدة أديب: تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1982.

7.بشوشة بن جمعة: الرواية النسائية المغاربية، منشورات سعيدات سوسة الجمهورية التونسية.

8. حزفي صالح: الشعر الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1993.

9. خديجة السبار: المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، افريقيا الشرق، المغرب 1990.

10. سعاد محمد حضر: الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية بيروت 1967.

11. السعداوي نوال: عن المرأة، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1993.

12. سعيد يقطين: الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بـــالتراث، ط 2 1992.

13. سلمان نور: الأدب الجزائري في رحاب الـــرفض والتحـــرر، دار العلـــم، بيروت 1982.

14. عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع، ط3 1976.

15. عبد العزيز عبد المجيد: حورية، مطبعة قسنطينة، 1976.

16. عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب المعاصر في الجزائر، (1923-1945) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1983.

17. عبد المحسن طه بدر، نجيب محفوظ، الرؤية والأداة، دار الثقافة للطباعـــة والنشر، القاهرة، 1978.

18. عثمان عبد الفتاح: الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.

19. علي الربيعي: العتق في الميثولوجيا الإسلامية، المركـــز الثقـــافي العربـــي بيروت، ط2، 1995.

20. فراس سراج: لغز عشتار، الأنوثة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، قبرص 1985.

21. قاسم أمين: تحرير المرأة، موفم للنشر، الجزائر، 1990.

22. محمد ابن بكير، عبد القادر رازي، مختار الصـــحاح: دار الكتـــب العلميـــة بيروت، لبنان، ط1، 1990.

23.محمد عبد الرحمان يونس: الجنس والسلطة في ألف ليلـــة وليلـــة، مؤسســـة الانتصار العربي، لندن، بيروت.

24. محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصـــر، دار المعـــارف، مصر ط3، 1984.

25. محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 1983.

26. مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشـــر والتوزيع، ط 2، 2009.

27.نوال السعداوي: الرجل والجنس، المؤسسة العربيـــة للدراســـات والنشـــر، بيروت، ط3 1980.

28. نور الدين بوجدرة: الحريق، الشركة التونسية للفنـــون والرســـم، تـــونس، 1976.

29. واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر بحث في الأصـــول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين، 1986.

30. وطار الطاهر: الزلزال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

31. يوسف نسيب: مولود فرعون حياته وأعماله، المؤسســـة الوطنيـــة للكتـــاب الجزائر، 1991.

❖ **<u>الرسائل والأطروحات الجامعية:</u>**

1. عبد الوهاب بوشليحة: اشكالية الدين السياسية الجنس في الروايـــة المغاربيـــة رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة، 1991.

2. عفيف فراح: صورة البطلة في أدب المرأة، مجلة الفكر العربي المعاصـــر، لبنان، ربيع 1985.

3. عمر عيلان: الرواية والايدولوجيا، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعـــة قسنطينة، 1996/1995.

4. محمد الأمين الزاوي: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (1930-1982) رسالة ماجستير، دمشق، 1984.

5. منادى نبيلة: الخطاب الأنثوي في الجزائر، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير جامعة عنابة، 1999/1998.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

مقدمة أ-ج

مدخل تمهيدي: توطئة حول تبلور الرواية الجزائرية

1- الرواية في سيدة المقام 05

2- تعريف الروائي واسيني الأعرج 15

3- قراءة في مضمون الرواية 15

الفصل الأول: تجليات الصراع على المستوى الجنسي

المبحث الأول: المرأة طرفا مفعولا به / فعل الإكراه 24

المبحث الثاني: المرأة طرفا مستلبا 30

المبحث الثالث: المرأة طرفا فاعل 34

الفصل الثاني: تمظهر الصراع على المستوى الايديولوجي في سيدة المقام

المبحث الأول: علاقة الايديولوجية بالرواية والأيديولوجية السائدة والمستمرة في سيدة المقام 39

أولا: الايديولوجية السائدة والمنتشرة في رواية "سيدة المقام" 40

ثانيا: الايديولوجية السياسية وسلبيتها في الرواية 40

المبحث الثاني: تمظهر السلطة الدينية في رواية سيدة المقام ومحاولة فرض ايديولوجيتها. 46

المبحث الثالث: المفهوم السوسيولوجي والإيديولوجية الثقافية والنفعية 48

أولا: ايديولوجية الثقافة 49

ثانيا: الايديولوجية النفعية 51

الفصل الثالث: الصراع القيمي

المبحث الأول: القيم الاجتماعية **55**

المبحث الثاني: القيم الثقافية **57**

المبحث الثالث: القيم الفنية **62**

المبحث الرابع: القيم الأخلاقية والإنسانية **63**

خاتمة **65**

قائمة المصادر والمراجع **68**

فهرس الموضوعات

ملخص

ملخص:

تناولت في بحثي موضوع "تمظهر الصراع الذكوري والأنثوي في إبداع "**واسيني الأعرج**" "**سيدة المقام**" أنموذجا حيث ضمن البحث مقدمة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة.

فكان المدخل للحديث عن تبلور الرواية الجزائرية (ملخص الرواية) كما تناولت في الفصل الأول التجليات الصراع على المستوى الجنسي وبينت فيه وضع المرأة في المجتمع من خلال فعل الإكراه والمرأة طرفا مفعولا به والمرأة فاعلا.

في حين خصص الفصل الثاني لدراسة الصراع على المستوى الإيديولوجي حاولت فيه كشف إيديولوجية كل من الرجل والمرأة.

أما الفصل الثالث فخصصته للحديث عن القيم التي حملتها شخوص الرواية.

وخاتمة توصلت فيها إلى مجموعة من النتائج.

Abstract:

This study treats the Male-Female struggle as portrayed in "**Wansi El aaredj**" story "***Lady's*** *social position* as a sample study. The work comprises an Introduction, a preamble, three chapters and a conclusion. In the preamble a presentation of the Algerian story and its evolution is given. In the first chapter, I showed the clarity of struggle at the sexual level namely the idea of hatred as woman, a part of it and a doer .The second chapter is devoted to the ideological fight where the researcher tries to unveil the ideology of both men and women. The last chapter concerns itself with the story characters' values. The conclusion of the study bears the results achieved.

تم بحمد الله